الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران 2 محمد بن أحمد
كلية العلوم الاجتماعية
قسم الفلسفة

مطبوعة بيداغوجية في مقياس:

مدخل إلى الفلسفة

محاضرات موجه لطلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية

إعداد الدكتورة : محمودي خليفة

الموسم الجامعي
2024 -2023

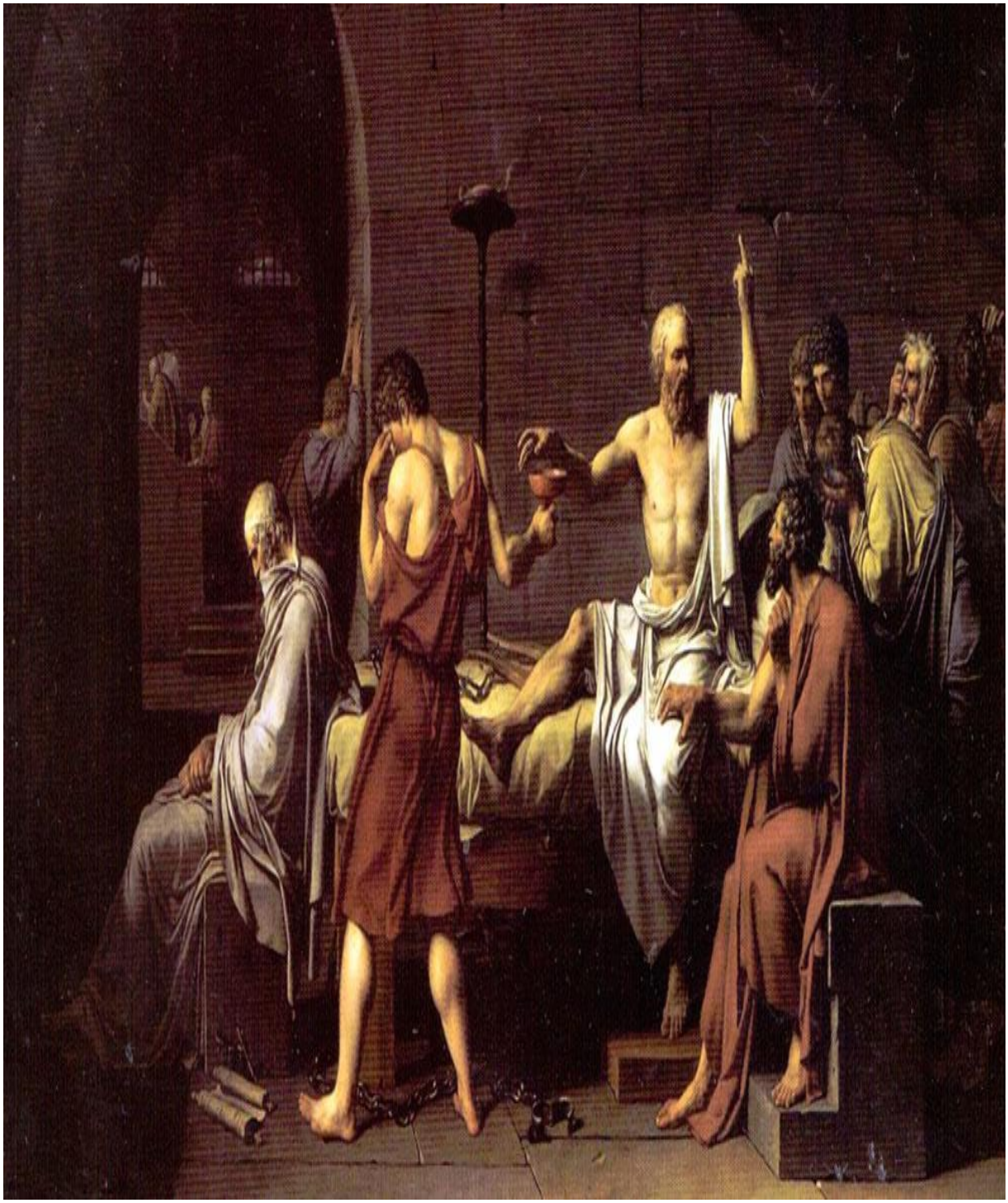

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الفهرس	03
محتوى المقياس مدخل إلى الفلسفة	04
مخطط بناء المقياس	05
معلومات عن المقياس	05
تقديم المقياس	05
محتوى المقياس	06
الأهداف والمكتسبات القبلية	08
مدخل	09
ماهية الفلسفة	10
خصائص التفكير الفلسفي	18
مباحث الفلسفة الكبرى	24
الفلسفة وتجاوز مرحلة التفكير الأسطوري	32
الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية (العلاقة بينهما)	44
علاقة الفلسفة بالعلم.	53
الحضارة والثقافة والفلسفة	61
خاتمة	72
قائمة المصادر والمراجع	73

محتوى مقياس مدخل إلى الفلسفة

❖ **محتوى المحاضرات:**

مدخل:

1) الفلسفة من الدلالة الاشتقاقية إلى الدلالات الاصطلاحية.
2) خصائص التفكير الفلسفي.
3) المباحث الأساسية للتفكير الفلسفي
4) الفلسفة و تجاوز التفكير الأسطوري
5) الفلسفة كتفكير منهجي عقلاني
6) الفلسفة و الثقافة و الطبيعة
7) الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية
8) التفكير الفلسفي والتفكير العلمي
9) دور الفلسفة في تعقل الدين و ترشيد السلوك الديني.
10) العلاقة التفاعلية والتكاملية بين الفلسفة والعلم.
11) الفلسفة والحضارة
12) الفلسفة والتربية

مخطط بناء مقياس
مدخل إلى الفلسفة

1/ معلومات عن المقياس

جامعة: محمد بن أحمد وهران 2.

قسم: علوم اجتماعية: جذع مشترك

الفئة المستهدفة: السنة الأولى علوم اجتماعية.

عنوان الوحدة: التعليم الاساسية.

المقياس: مدخل إلى علم الفلسفة.

نوع الدرس: محاضرة/ السداسي الثاني.

المعامل: 02.

الرصيد: 05.

مدة التدريس: 12 أسبوعا

أستاذ المقياس (محاضرة وتطبيق): محمودي خليفة.

التواصل عبر الإيميل: khelifafilo@gmail.com

2/ تقديم المقياس:

التطور الذي شهدته البشرية اليوم. في مختلف المجالات العلمية والتقنية. دعا إلى الإيمان بالعلم وحده، كسلطان على المعرفة. ونبذ ما سواه من المعارف الإنسانية.

التي لم تعد تحقق جانبًا تقنيًا. ولعل الفلسفة واحدة من هذه المعارف التي بشر بزوال عصرها. ولا حاجة للإنسانية بالبحث في فكر موغل في التجريد والمثالية والخيال. ما دام العالم اليوم لا يؤمن إلا بالجانب التقني. والفكر النفعي والمفهوم (بن عبد العالي). وبالتالي يتبادر لأذهان الجميع ما الغاية من دراسة الفلسفة؟. أو بالأحرى التفكير الفلسفي؟. لكن الطرح الفكري الرسين يتجاوز هذا الطرح الساذج. إلى ما وراء السؤال البسيط المعقد في الوقت ذاته. إذ المعارف الإنسانية كلها. بما فيها العلم، يدين للفلسفة والتفكير الفلسفي. إذ العلم في حد ذاته، وليد التفكير الفلسفي. ولعل الفيزياء المعاصرة، خير دليل على هذا الطرح. فنجد نسبية أينشتاين قد بدأت من السؤال الفلسفي. عندما كان أينشتاين يركب قطار في لندن وتقابله ساعة بيج بن الواقعة في برج إليزابيث. وتساءل ماذا لو كنا نسير بسرعة الضوء؟ سيتوقف الزمن؟. (أو ما يعرف فيزيائيا بتباطؤ الزمن). إن النظرية الفيزيائية كانت نتيجة التفكير الفلسفي في الحركة.

من هذا المنطلق لا يمكن للعلم أن يكون بمعزل عن السؤال الفلسفي الحق. ويظهر دور الفلسفة جليًا عندما نكتشف الجانب المظلم للعلم. أو استعمال العلم بطريقة لا أخلاقية. تهز مضجع الإنسان المعاصر. مما يحتم على البشرية طرق باب الفلسفة من الجديد. لعلها تكون المنقذ والمنفذ لخلاص البشرية من وحشية العلم. ونجد ما يعرف بالإبستمولوجيا. التي هي دراسة نقدية لمبادئ ونتاج وفروض العلوم دليل على مكانة الفلسفة في تسوية اعوجاج العلم. ففي تتمثل أهمية ومكانة الفلسفة؟.

3/ محتوى المقياس:

الأستاذ: محمودي خليفة

خريطة ذهنية تمثل الجانب المعرفي لمادة : مدخل إلى الفلسفة

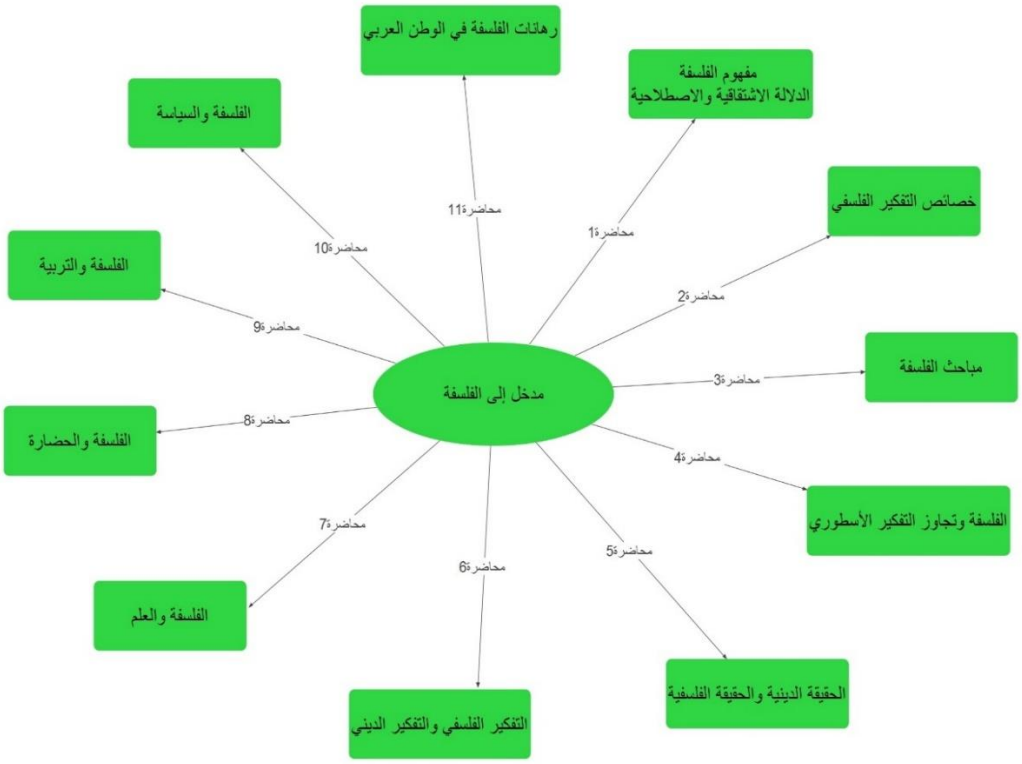

4/ المهارات المستهدفة.

من أهم المهارات المستهدفة، التي تميز هذه المحاضرة لمقياس مدخل إلى الفلسفة. وعلى الطالب أن يصل إليها ما يلي:

1/ التمييز بين ضروب التفكير البشري وموضع الفلسفة داخلها.

2/ إدراك أهمية التفكير الفلسفي في بناء الحضارة.

3/ إدراك أهمية الفلسفة في البحث العلمي.

4/ أهمية التفكير الفلسفي في كل نواحي الحياة اليومية.

5/ أهداف التعلم:

يهدف هذا المقياس إلي:

1. التعرف على الفلسفة. من حيث المفهوم والنشأة
2. أهمية الفلسفة في الحياة اليومية
3. التعرف على علاقة الفلسفة بالعلم.
4. آليات بناء التفكير الفلسفي.
5. إدراك أهمية الفلسفة في البحث العلمي.

6/ المكتسبات القبلية:

لكي يستطيع الطالب استعاب هذا الدرس يجب أن يكون على دراية ب:

- تاريخ الحضارات والشعوب.
- مسار تطور الفكر البشري.
- تصنيف العلوم والمعارف.
- الإحاطة بالبيئة المكانية والزمانية لظهور الفلسفة اليونانية.

7/ طريقة تقييم التعلم:

يتم التقييم في هذا المقياس عن طريق:

أولا : امتحان كتابي حضوري في نهاية السداسي، تتم برمجة زمانه ومكانه من طرف الإدارة.

ثانيا: تكون إجابة الإمتحان فيه على شكل مقال تحليلي، ويتم فيه مراعاة ما يلي:

1-المنهجية

2-تحديد المطلوب

3-سلامة اللغة والخط

8/ نشاطات التعلم:

1-يتم إعطاء الطلبة مجموعة من الأعمال الاختيارية قصد البحث فيها.

2-يتم منح الطلبة مجموعة من المراجع اختيارية أيضا لقراءتها وتلخيص أهم أفكارها.

3-محاولة إقامة حوار داخل الحصـــص من أجل تبادل المعارف، وتثبيت الصـــحيح وتصـــحيح الخطأ لدى الطلبة.

4-إنشاء مجموعة خاصة للتواصل مع الطلبة مستعينين في ذلك بشبكات التواصل الاجتماعي.

5-فتح مجال اللقاء الإفتراضـــي (عن بعد) في منصـــة مودل حســـب التوقيت المبرمج من طرفي والمعلن عنه مسبقا.

9/ موارد المساعدة:

1) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982

2) محمد بهاوي:الفلسفة والتفكير الفلسفي،أفريقيا الشرق،ط2، 2013.

3) افلاطون المأدبة، تر، وليام الميري، دت.

4) الكندي رسالة إلى المعتصم بالله،: الفلسفة الأولى، تحقيق، أحمد فؤاد الأهواني، بيروت، 1986.

5) رونيه ديكارت: مبادئ الفلسفة، تر، عثمان أمين، 1975.

6) أبو نصر الفارابي:الجمع بين رأي الحكيمين:ط5، 2001.

7) عزمي طه السيد احمد : الوجه الأخر للفلسفة - عالم الكتب الحديث - الأردن 2015

8) البخاريحمانه : تأملات في الدنيا و الدين –دارالقدس العربي 2012

9) مصطفى النشار : التفكير الفلسفي – دار المصرية اللبنانية 2015

10) زكريا إبراهيم مشكلة الفلسفة : مكتبة مصر – د ط

11) عبد الحفار مكاوي : مدرسة الحكمة – دار الكتاب العربي – القاهرة – د ط

12) هنترميد : الفلسفة انواعها و مشكلاتها – مكتبة مصر- القاهرة 1969

13) رواد الميثالية في الفلسفة الغربية دار الثقافة للطباعة و النشر

14) لاقاهرة1975

15) احمد محمود صبحي ، محمود فهمي زيدان في فلسفة الطب دار لامعرفة الجامعية 1995

16) محمد شطوطي المدخل إلى الفلسفة العامة دار طليطلة الجزائر 2009

17) مصطفى محمود اينشتاينو النسبية

18) محمد تابت الفندي مع الفيلسوف دار المعرفة الجامعية مصر 1998

19) زكريا إبراهيم دراسات في الفلسفة المعاصرة : مكتبة مصر 1968

20) سالم يفوت فلسفة العام المعصرة و مفهومها للواقع دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت 1986

الأستاذ المسؤول عن المقياس : محمودي خليفة

مقياس : مدخل إلى الفلسفة .

المستوى السنة الأولى :LMD s 1

المحاضرة: ماهية الفلسفة

أهداف المحاضرة:

1- تهدف هذه المحاضرة لضبط مفهوم الفلسفة

2- معرفة الطالب لماهية الفلسفة وخصائصها.

3- سعي الطالب لفهم الحدود الفاصلة بين العلم والفلسفة من حيث الاستعمال وشمولية المفهوم.

مقدمة:

التطور الذي شهدته البشرية اليوم. في مختلف المجالات العلمية والتقنية. دعا إلى الإيمان بالعلم وحده، كسلطان على المعرفة. ونبذ ما سواه من المعارف الإنسانية. التي لم تعد تحقق جانبًا تقنيًا. ولعل الفلسفة واحدة من هذه المعارف التي بشر بزوال عصرها. ولا حاجة للإنسانية بالبحث في فكر موغل في التجريد والمثالية والخيال. ما دام العالم اليوم لا يؤمن إلا بالجانب التقني. والفكر النفعي والمفهوم (بن عبد العالي). وبالتالي يتبادر لأذهان الجميع ما الغاية من دراسة الفلسفة؟. أو بالأحرى التفكير الفلسفي؟. لكن الطرح الفكري الرسين يتجاوز هذا الطرح الساذج. إلى ما

وراء السؤال البسيط المعقد في الوقت ذاته. إذ المعارف الإنسانية كلها. بما فيها العلم، يدين للفلسفة والتفكير الفلسفي. إذ العلم في حد ذاته، وليد التفكير الفلسفي. ولعل الفيزياء المعاصرة، خير دليل على هذا الطرح. فنجد نسبية أينشتاين قد بدأت من السؤال الفلسفي. عندما كان أينشتاين يركب قطار في لندن وتقابله ساعة بيج بن الواقعة في برج إليزابيث. وتساءل ماذا لو كنا نسير بسرعة الضوء؟ سيتوقف الزمن؟. (أو ما يعرف فيزيائيا بتباطؤ الزمن). إن النظرية الفيزيائية كانت نتيجة التفكير الفلسفي في الحركة.

من هذا المنطلق لا يمكن للعلم أن يكون بمعزل عن السؤال الفلسفي الحق. ويظهر دور الفلسفة جليًا عندما نكتشف الجانب المظلم للعلم. أو استعمال العلم بطريقة لا أخلاقية. تهز مضجع الإنسان المعاصر. مما يحتم على البشرية طرق باب الفلسفة من الجديد. لعلها تكون المنقذ والمنفذ لخلاص البشرية من وحشية العلم. ونجد ما يعرف بالإبستمولوجيا. التي هي دراسة نقدية لمبادئ ونتاج وفروض العلوم دليل على مكانة الفلسفة في تسوية اعوجاج العلم. وقبل الحديث عن مكانة الفلسفة لا بد من معرفة ما الفلسفة؟.

تعريف الفلسفة:

لغة:

كلمة فلسفة: (philosophie) (philosophy) مأخوذة من اللغة اليونانية فيلو تعني محب. سوفيا تعني المعرفة أو الحكمة. ويطلق على العلم بحقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح. وهي عند القدماء مشتملة جميع العلوم. وهي قسمان: نظري

وعملي. النظري يشتمل على: الإلهي والرياضي والطبيعي. والعملي يشمل: الأخلاق والاقتصاد والسياسة. وتطلق الفلسفة على دراسة المبادئ الأولى التي تفسر المعرفة البشرية[1]. وأول من استعمل كلمة فلسفة فيتاغورس. عندما سئل هل أنت حكيم؟. قال "لست حكيمًا. لأن الحكمة تضاف للألهة. ما أنا إلا فيلسوف.". هنا بدأ استعمال كلمة فيلسوف وفلسفة. أي استعاض اليونان الفلسفة كبديل اشتقاقي للحكمة. وكأن الفيلسوف محب للحكمة، وليس حكيم؟ وكأنهم قتلوا الحكيم واستعاضوا عليه كما قال دولوز بالفيلسوف.

Philosophy (from Greek phoσopía, philosophia, literally "love of wisdom" is the study of general and fundamental problems concerning matters such as existence, knowledge, values, reason, mind, and language. The term was probably coined by Pythagoras (circa. 570 c. 495 BC)

لعل المعنى الاشتقاقي لكلمة فلسفة واضح بما فيه الكفاية. فالفلسفة عند الإغريق محبة الحكمة أو البحث عن الحكمة... وكما يقول أندري سبونفيل ما معنى الحكمة؟ إن الحكمة في ارتباط بالفكر كما بالعقل والمعرفة[2]. ولهذا قال تعالي في سورة البقرة **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269)** وهنا نتساءل عن نحو سبونفيل من هو الحكيم؟. فالحكيم ليس مجرد رجل طاعن في السن محدودب الظهر أبيض اللحية. يتكلم بكلام معقد لا يفهمه

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص 160.
[2] محمد بهاوي:الفلسفة والتفكير الفلسفي،أفريقيا الشرق،ط2، 2013. ص 09.

العامة. فالفيلسوف، أو بالأحرى الحكيم، لا يعيش بمعزل على الناس. فالحكيم هو الذي يستعمل عقله، من زاوية مختلفة لفهم الظاهرة. ويعطي تفسيرات، مبنية على قواعد العقل. ولا يشوبها التعارض والاختلال. إن الحكمة هي حب الحياة بسعادة. فالفلسفة هي السعي وراء الحكمة. من خلال الرغبة في فهم الأشياء الحكيمة، لا الأشياء المألوفة لدى العامة.

اصطلاحًا:

من الصعب بما كان، تحديد مفهوم الفلسفة. بدقة. كأنك تعرف الرياضيات أو الفيزياء أو غيرها. إن مفهوم الفلسفة مرتبط بشخص الفيلسوف ووجهة نظره. لذا يصعب تحديد معنى دقيق لها.

نجد أفلاطون مثلا في المأدبة يقول: "والحقيقة أنه لا يمكن أن يقال إن الإله يحب الحكمة أو يرغب فيها. لأن الإله حكيم فعلًا. ويصدق هذا القول على الحكماء، إن كان ثمة حكماء. ذا من جهة. ومن جهة أخرى، فالجاهل لا يحب الحكمة ولا يرغب فيها. لأن من ينقصه الجمال والخير والعلم يرضى عن نفسه كل الرضى. ولا يعتقد أنه ينقصه شيء على الإطلاق. ومن كان كذلك لا يرغب فيما يعتقد أنه لا ينقصه شيء. فالحكمة شيء جميل والحب هو حب الجميل"[3] فالقول يوحي إلى عدة نقاط.

[3] افلاطون المأدبة، تر، وليام الميري، ص 61.

أولها: أن الحكمة لا تضاف للآلهة فالإله حكيم بذاته. إذا من يجب أن يكتسب الحكمة هو الإنسان. وعليه فأن الحكمة تكتسب لا تعطى. فالإنسان عليه السعي نحوها. بجهد وإخلاص.

ثانيًا: الجهل لا يتوافق مع الحكمة. لأن الجاهل يظن نفسه أنه يعرف كل شيء. فالإنسان عدو ما يجهل. وهذا ما أخذه على سقراط عندما قال: كل ما أعرفه أنني لا أعرف شيئًا.

ثالثًا: الحكمة خير ولا تتوافق إلا مع الخير والجمال. فالجهل رذيلة.

فقد عرفها أرسطو : بأنها العلم بالأسباب القصوى. أو علم الوجود بما هو موجود[4]. وفق هذا التعريف تصبح الفلسفة البحث في الأسباب الأولى لحدوث الظواهر. فمثلًا لو حدثت جريمة قتل. فإن العلم يبحث في الأسباب المباشرة توجد بصمات القاتل وتتطابق مع شخص ما. إذا هو القاتل. لكن الفلسفة تبحث في الأسباب القصوى للظاهرة بأن تبحث لماذا أقدم الرجل على فعل القتل. هو هناك سبب نفسي، أو مادي، أو اجتماعي، أو سياسي. أدى إلى القتل. أو الإنسان مريض، أو يحب سفك الدماء إلخ. وهنا تختلف الفلسفة عن العلم.

يعرفها الكندي: إن أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة، التي حدها علم الأشياء بحقائقها بقدرة طاقة الإنسان. لأن غرض الفيلسوف في

[4] انظر: جميل صليبا المعجم الفلسفي، ج2، ص 160.

علمه لإصابة الحق وفي عمله العمل بالحق" [5]. فالفلسفة وفق الكندي هي القصد للحق والعمل به. والوقوف على حقائق الأشياء كلها.

كما نجد الفارابي هو الآخر يرى أن الفلسفة هي دراسة الوجود بما هو موجود في كليته. إذ الفلسفة تدرس كل شيء. حيث يقول: "ذلك أن موضوعات العلوم وموادها لا تخلو من أن تكون: إما إلهية، وإما طبيعية وإما منطقية، وإما رياضية، أو سياسية، وصناعة الفلسفة، هي المستنبطة لهذه والمخرجة لها. حتى أنه لا يوجد شيء من موجودات العالم إلا وللفلسفة فيه مدخل. وعليه غرض"[6]. من خلال هذا التعريف للفارابي، يوحي أن الفلسفة تدرس كل الوجود في العالم. بالنقد والتمحيص.

كما نجد رونيه ديركارت يرى أن الفلسفة يقصد منها المعرفة الكاملة لكل ما يستطيع الإنسان أن يعرفه. وشبه الفلسفة بالشجرة المعرفة التي تحمل كل شيء. وذلك بقوله: "فالفلسفة بأسرها أشبه بشجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزيقا، والفروع التي تخرج من هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى"[7]. فالفلسفة وفقه هي شجرة المعرفة الإنسانية. وكل المعارف تبدأ من الفلسفة وتنتهي إليها. وهو بذلك لم يخرج عن التعريف القديم للفلسفة. في كونها أم العلوم.

وقد عرفها كانط بأنها علم الغايات الكاملة. بقوله: "فالفلسفة هي مثال الحكمة الكاملة التي تعين الغايات الأخيرة للعقل البشري. والفلسفة بهذا المعنى السامي تؤول إلى الأسئلة التالية: ماذا يمكن أن أعرف؟. وماذا يجب أن أفعل؟. وما المتاح لي أن

[5] الكندي رسالة إلى المعتصم بالله،: الفلسفة الأولى، تحقيق، أحمد فؤاد الأهواني، بيروت، 1986، ص 85.
[6] أبو نصر الفارابي:الجمع بين رأي الحكيمين:ط5، 2001، ص 80.
[7] رونيه ديكارت: مبادئ الفلسفة، تر، عثمان أمين، 1975، ص 43.

آمله؟. وأخيرًا ما الإنسان؟[8]. الأول تجيب عنه الميتافيزيقا. والثاني الأخلاق والثالث والدين. والأنثربولوجيا على الرابع. وعليه وفق كانط على الإنسان أن يحدد مصدر المعرفة. وأن يكون قادرًا على تمييز الاستعمال الجيد والنافع لهذه المعرفة. وأخيرًا عليه تحديد ممكانات العقل. هذا التعريف لكانط رغم قوة النقد لديه لم يخرج عن التعريف الأرسطي بأنها تدرس المبادئ الأولى. ونقد العقل الخالص يحمل هذه المبادئ رغم طابعه النقدي.

إن مهمة الفلسفة الأولى كما يرى جيل دولوز في كتابه ما هي الفلسفة؟. هي فن تكوين وإبداع وصنع المفاهيم. يقول: "إن الفلسفة بتدقيق أكبر. هي الحقل المعرفي القائم على إبداع المفاهيم"[9]. فالتاريخ البشري بأكمله يحدث له الخطأ في عدم تحديد المفهوم. إذ تحديد المفهوم نصف فهم الظاهرة. والفلسفة لا تتوقف عند تحديد الفهوم. وإنما إبداع المفهوم، وخلقه.

ونجد جيل دولوز تجاوز المهمة الأساسية للفلسفة. بأن لم تصبح دراسة العلل الأولى. رغم أن صناعة المفهوم تقاربها. لكن صناعة المفهوم هي أقرب للجانب العملي منه، من الجانب لدراسة العلل الأولى. لأن صناعة المفهوم ليس جانب طوباوي كالبحث في العلل الأولى للحقيقة. لأن المفاهيم هي أدوات للوصول للحقيقة. فهذا التعريف لدلوز نقلنا من الطوباوي إلى العملي.

[8] محمد بهاوي: الفلسفة والتفكير الفلسفي، 15.
[9] جيل دولوز؛ فليكس غاتاري: ما هي الفلسفة، تر، مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، لبنان، ط1، 1997.

ونجد هنتر ميد يعطي تعريف عملي للفلسفة بقوله: "الفلسفة هي محاولة دقيقة منظمة للربط بين الكون والحياة البشرية، على نحو له مغزاه"[10] يحوي هذا القول أن الفلسفة سعي إلى الكشف عن طبيعة الكون وماهيته، وعلاقتنا به. فهي تسعى إلى تنظيم كل الحقائق في كل واحد. فهي البحث المنظم عن المعرفة.

ونتيجة لكل هذه التعاريف، يمكن أن نقول في الأخير. أن الفلسفة هي دراسة نقدية للمنتوج الثقافي الإنساني. أي كان هذا المنتوج. وعليه فالفلسفة هي مكابدة للمشكلات الواقعية التي يصادفها الإنسان. فهي تجربة حية تعاش لا تحفظ. فالفلسفة لا تتوقف على ترديد أقوال الفلاسفة وأفكارهم. بل معرفة كيف فكر هؤلاء. بأن أعطوا لنا هذا الحكم على الأشياء. لذا وجب أن نتعلم التفلسف لا الفلسفة بمعناها الصوري. ولعل كانط سبقنا لمثل هذا الطرح عندما قال يجب أن نعلم الأطفال التفلسف بدل الفلسفة. وهذا يوحي أن الفلسفة ممارسة للتفكير في القضايا وتجربتها.

[10] هنتر ميد: الفلسفة وأنواعها ومشكلاتها: ترجمة فؤاد زكرية، 2017، ص 28

الأستاذ المسؤول عن المقياس : محمودي خليفة

مقياس : مدخل إلى الفلسفة .

المستوى السنة الأولى :LMD s 1

المحاضرة: خصائص التفكير الفلسفي.

أهداف المحاضرة:

1- معرفة الطالب لخصائص التفكير الفلسفي.

2- تمييز الفلسفة عن ضروب المعرفة الأخرى.

3- سعي الطالب لمعرفة خاصية التفلسف بمعرفة خصائص الفلسفة.

المقدمة:

تتميز الفلسفة عمومًا عن ضروب المعرفة الأخرى، وفي مقدمتها العلم. بمجموعة من الخصائص، جعلتها متفردة في موضوعها ومنهجها وتصورها. ولعل هذه الخصائص جعلتنا نميز بين أنواع التفكير البشري. ما كان منه ضمن التفكير الفلسفي ومنه ما كان ضمن نطاق العلم، والأهم من ذلك التمييز بين ما يعد تفكير سليم وجيد، وبين ما هو غير ذلك. ولذا فما خصائص التفكير الفلسفي؟.

1/ الشمولية:

يعد التفكير الفلسفي ذات طابع شمولي. فهي تنظر للظواهر في كليتها. وليست مثل العلم ينظر نظرة متخصصة. يحصر الظاهرة في إطارها الزمكاني. فالتفكير الفلسفي يدرس الظاهرة من كل الزوايا المتعددة والممكنة. ولم يعد الإنسان فيلسوف إلا عندما تخلص من النظرة الضيقة للأشياء. وتعدى ذلك إلى الاهتمام بالظاهرة في كليتها وشمولها. فنجد مثلا عالم يدرس تغير حياة الحيوان وفق تغير المناخ ليعطي حكم على ظاهرة متخصصة. في حين أن التفكير الفلسفي يدرس التغير في كليته. لا في إطاره الزماني والمكاني فقط. وهذا ما يميز العالم عن الفيلسوف. ولهذا نجد أرسطو قديمًا يقول : "لا علم إلا بالكليات". ومعنها هذا أن التفكير الفلسفي ذات طابع شمولي أو كلي. فلو بحث عالم في حركة النجوم والأفلاك وحركة كوكب الأرض. فإن الفيلسوف يبحث في إطار أشمل نحو ما أصل هذه الموجودات وما طبيعتها وماهيتها؟. فتكون نظرة الفيلسوف نظرة شاملة. وهذه النظرة الشاملة للظواهر لا تعني أن الفيلسوف يملك أجوبة دقيقة لها. وإنما طبيعة التفكير والغاية مختلفة عن العالم. ومتى حاول العالم أن يجب عن الظواهر بطريقة شمولية خرج من دائرة العلم إلى دائرة الفلسفة. فأشهر علماء الفيزياء المعاصرين إنشتاين حاول أن يعطي معادلة عامة يمكن أن تفسر كل شيء. وتحتكم له كل الظواهر. فلم يفلح في ذلك. فتوصل إلى تسمية نظريته بالنسبية. لذا فإن الشمولية خاصية تميز التفكير الفلسفي عن غيره.

2/ الدهشة:

لقد قال أرسطو قديمًا. "إن الدهشة هي الأم التي أنجبت الفلسفة". فهذا القول يوحي أن أصل التفلسف وجوهره الثابت وقوته المحركة هي الدهشة. ولو زالت الدهشة لو توقف التفلسف نفسه لأن هيجل عندما تكلم عن الارتباك واعتبره أهم شيء في الفلسفة. فكان يشير إلى الدهشة. والشيء الذي يقتل الدهشة هو العادة. فاعتياد الإنسان على الأشياء يجعلها مألوفة لديه. مما يقتل اندهاشه منها. فالأطفال يندهشون في بداية حياتهم من كل شيء يرونه. ولا يعرفونه. كذلك الفيلسوف يبقى كما قال جوستاين غاردر دائمًا في مرحلة الطفولة. ولهذا كان سقراط يردد دائمًا "كل ما أعرفه أنني لا أعرف شيءً". فعدم المعرفة أو إدعاء المعرفة وتجاوز النمطية طريق التفكير الفلسفي.

فالدهشة الفلسفية لا تعني الاندهاش من شيء موجود. فلو حدث أن نرى الشيء الموجود دائمًا اعتدنا عليه. فالاندهاش في الغياب، والحضور، فقد نندهش من أصل الوجود الذي ليس له تعين موجود. والدهشة أم المعرفة. فلقد قال توماس الأكويني قديمًا أن الاندهاش هو الشوق للمعرفة. فالاندهاش سلب وإيجاب. سلب لأنه لحظة توقف شعوري بعدم معرفة الشيء. وإيجاب لأنه شوق لمعرفة المجهول.

إن ما يميز الفيلسوف على غيره هو قدرته على الدهشة يقول غاردر لصوفي: "هل قلت لك سابقًا أن الميزة الوحيدة اللازمة، لكي يصبح الواحد فيلسوف جيدًا. هي قدرته على الدهشة. إن لم أكن قد قلتها فأنا أعيدها الآن: إن الميزة الوحيدة اللازمة لتصبح فيلسوفًا هي أن تندهش".('عالم صوفي: ص 23). فالدهشة خاصية

الفيلسوف. لأن الرتابة والعادة تقتل النظر للأشياء. ولا تعجل الإنسان ينظر إلى عمق الظاهرة.

3/ التعمق:

إن التعمق في فهم الظاهرة من كل جوانبها هو خاصية الفيلسوف. إذ لا يتوقف عند فهم الشيء الظاهري فقط، بل يتعداه إلى فهم الماهيات وحقائق الأشياء في ذاتها. لذا فإن الفلسفة تسعى دائمًا إلى فهم أعمق لظواهر. فلو حدث مثلًا جريمة قتل. فإن العلم سيتوقف عند تحليل الأدلة وأداة الجريمة، وبصمات الجاني فيحكم بأن زيد من الناس هو الجاني. لكن الفلسفة لا توقف عند هذه الحقيقة فقط. بل تدرس الظاهرة في عمقها. وهي لماذا جنى الجاني؟. وتحلل أبعاد إرتكابه للجريمة. فقد تكون للأسباب نفسية بأن يكون الجاني مريض نفسيًا. أو أن هناك أسباب اجتماعية كالفقر والحرمان. وقد تكون أسباب اقتصادية فقتل لدافع مادي. وقد يكون الدافع إيديولوجي دفه للقتل. وعليه فإن الفلسفة تبحث في عمق الظاهرة المراد دراستها.

4/ النقد:

لا تخلو الفلسفة من ظاهرة النقد. ذلك أن التفكير النقدي يمنح الفرصة أمام العقل البشري من التأكد من زعم الحقائق والوصول إلى كنه التفكير الإنساني. ولذا كان يردد يسبرز الحقيقة "**ليست ملك للأحد. وإنما البشر جميعًا ملك للحقيقة**". لذا على الإنسان أن يتوجه بالنقد لكل الأشياء التي يظن أنها حقيقة. كما نجد الفيلسوف

النقدي كانط يرى في كاتبه نقد العقل المحض أن النقد خاصية فلسفية يسعى إلى إقامة البرهان على صحة الأحكام التي يتصورها الشخص. من خلال كشف الأسس والمبادئ الأولى التي تتقوم عليها تلك الأفكار. والنقد قائم على التحليل والتركيب. حيث قام كانط بنقد نظرية المعرفة. فما كان شائع أن المعرفة قائمة على العقل عند العقلانيين. وقائمة عن التجربة عند التجريبيين. لكن كانط لم يؤمن بكلى الموقفين. وقدم نقد مؤسس بين فيه أن المعرفة تبدأ من التجربة ولكن تنتهي إلى العقل الذي يحلل ويناقش هذه الصور التي تصل إليه. وبالتالي من خلال فلسفة النقد وصل إلى نظرة جديدة في نظرية المعرفة. سميت فيما بعد بنظرية المعرفة النقدية.

5/ الشك:

يعتبر الشك خاصية مقدمة للنقد. لأن الذي لا يشك لا يستطيع أن يقوم بالنقد. وأول من وضع منهج شك متكامل هو ديكارت في كتابه "**مقالة عن المنهج**". حيث سعى إلى تباين أن البحث الفلسفي يحتم علينا وضع كل معارفنا التي تلقيناها سابقًا موضع شك. ووضع كل معتقداتنا العامة موضع ارتياب. وقال :إني أشك وما لا أستطيع الشك في ه أني أشك والشك تفكير". لذا فإن الفلسفة كأسلوب تفكري قائم على الشك. والشك الديكارتي قائم على أربع خطوات لتحقق من المعرفة. أولها: البساطة والوضوح. أي لا نقبل شيء على أنه حقيقة إلا إذا كان واضح وبسيط. والثانية: التحليل. حيث علينا أن نحلل الظاهرة المدروسة أو المعرفة المعطاه إلى مجموعة أجزاء حتى نتأكد من كل جزء على حدى. والثالثة: التركيب. حيث نقوم بتركيب الأجزاء التي حلناها لي نعطي حكم في المعرفة التي قمنا بتحليلها سابقًا. والرابعة:

الإحصاء وهو التأكد من إحصاء وعد كل الأجزاء التي تنتمي إلى الظاهرة. وعليه يكون الشك الديكارتي شك منهجي. مؤسس على مجموعة من القواعد. وحسب ديكارت علينا أن نضك كل المعارف موضع الشك. حتى وجود الجسم والله والعالم. حيث بدأ من فكرة أنا أفكر إذن أنا موجود. وبما أن الشك عملية فكرية فإنه موجود. من ثمة سعى إلى إثبات الله ثم إثبات العالم الخارجي. فالفلسفة قائمة على الشك كمنهج لتحليل الأفكار. ويجب أن نفرق بين الشك معنها المنهجي كما عند ديكارت. وبين الشك المذهبي الذي ظهر عند الشكاك وهو الشك من أجل الشك.

قائمة الماصدر والمراجع.

جميل صليبا: المعجم الفلسفي.

محمد بهاوي:الفلسفة والتفكير الفلسفي،أفريقيا الشرق،ط2، 2013.

رونيه ديكارت: مبادئ الفلسفة، تر، عثمان أمين، 1975

جيل دولوز؛ فليكس غاتاري: ما هي الفلسفة، تر، مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، لبنان، ط1، 1997.

هنتر ميد: الفلسفة وأنواعها ومشكلاتها: ترجمة فؤاد زكرية، 2017

عمار طالبي: مدخل إلى عالم الفلسفة،

الأستاذ المسؤول عن المقياس : محمودي خليفة

مقياس : مدخل إلى الفلسفة .

المستوى السنة الأولى :LMD s 1

المحاضرة: مباحث الفلسفة

أهداف المحاضرة:

1- سعي الطالب لمعرفة مباحث الفلسفة الكبرى.

2- معرفة الطالب الأسس التي أدت إلى تقسيم مباحث الفلسفة.

3- معرفة الطالب للعلاقة بين هذه المباحث.

المقدمة:

لقد دأب تاريخ الفلسفة والمؤرخين على تقسيم الفلسفة لثلاث مباحث كبرى رئيسية. مبحث الوجود Existence ، ومبحث أو نظرية المعرفة theory of knowledge، ومبحث القيم Axiologie. حيث أن هذا التقسيم لم تعرفه الفلسفة اليونانية. وإنما في ما بعد تم هذا التقسيم لمجموعة من الأسس، تمثلت في صعوبة السؤال الفلسفي في حد ذانه، كما قال بذلك هيدغر. وكذلك طبيعة الموضوع الفلسفي في حد ذاته اقتضى هذا التقسيم كما بين جيل دولوز وفليكس غتاري، فلا يمكن فهم جركة التفكير الفلسفي بعيدًا عن هذه المباحث. وعليه فما تمثلت مباحث الفلسفة؟ وما العلاقة بينها؟.

1/ مبحث المعرفة:

ويسمى هذا المبحث بنظرية المعرفة theory of knowledge ويسمى أيضًا بالإبتستيمولوجيا. وهي تقوم على أساس الإجابة على السؤال التالي: ما هي طبيعة المعرفة؟. ويتضمن هذا السؤال أسئلة أخرى مثل ما هي المعرفة؟. وما قيمة المعرفة وحدودها؟. وهل في استطاعة الإنسان معرفة كل شيء؟[11]. فالنظرية المعرفة قد تعني الابستيمولوجيا. لكن الفرنسيين يرون أن نظرية المعرفة أشمل من الابستيمولوجيا. والتي هي دراسة نقدية لمبادئ ونتائج وفروض العلوم. أي تفلسف في العلم. والمعرفة الناتجة عن هذا المجال تسمى ابستيمولوجيا. لكن المعرفة أوسع من هذا، وتشمل كل شيء يمكن تصوره .

بالفرنسية المعرفة Connaissance "وعرف الشيء أي أدركه بالحواس أو بغيرها. والمعرفة إدراك الأشياء وتصورها. ولها عند القدماء عدة معاني. منها إدراك الشيء بأحد الحواس. ومنها العلم مطلقًا، تصورًا كان أو تصديقًا. ومنا إدراك البسيط سواء كان تصورًا للماهية، أو تصديقًا بأحوالها. ومنها إدراك الجزئي"[12]. فالعمعرفة إذا هي كل ما يحدث للعقل من تصور سواءً للأشياء أو العلل. أي ما كن منها موجودًا متحققًا. ومنها ما كان موجودًا تصورًا. ولهذا كانت المعرفة متفاوتة أدناها المعرفة الحسية وأعلاهما المعرفة العقلية.

لو تأملنا نظرية المعرفة لوجدناها تلك العلاقة التي تربط الذات العارفة بالموضوع الذي يراد معرفته. وفي هذه العلاقة التي تحدث بين الذات والموضوع تنشأ ما يعرف

[11] عمار طالبي: مدخل إلى عالم الفلسفة، ص 158.
[12] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص 392.

بالمعرفة. وهذه المعرفة قائمة على أن تكون بواسطة أساس موثوق من الادراك. وهذا الأخير قائم على علة لفهمه للموضوع. وهم الذات العارفة أن تجد مسلك للوصول إلى هذا الموضوع. ومعرفة حقيقته. وسوا معرفة هذا الموضوع قائم على شيء خارج الذات العارفة كالعالم الخارجي. أو شيء يقع داخل الذات العارفة نفسها. كقول سقراط أعرف نفسك بنفسك. ومعرفتها بأحوالها الباطنة كالسعادة واللذة والألم والأمل والرغبة إلخ. وفي هذا الصدد نجد كانط يقول: "ويمكن لمعرفة العقل أن تكون على صلة بموضوعين بطريقين: فإما أن نقتصر على تعيين الموضوع ومفهومه (الذي يجب أن يعطى بطرية أخرى). وإما أن نحققه فعلًا. فالأولى هي معرفة العقل النظرية، والثانية هي معرفة العقل العملية"[13]. فالمعرفة الإنسانية قائمة على هذين الطريقين إما نظرية أو عملية.

"ومعنى هذا أن نظرية المعرفة في جوهرها، تقوم على بيان الأسس التي تبنى عليها اعتقاداتنا المتعلقة بالعالم. وما فيه"[14] فالإنسان عندما يسعى إلى أخذ تصور عن العالم المحيط بينا وعالم ذواتنا فإنه في النهاية يسعى إلى أن يملك معرفة. فالمعرفة هي السعي الدؤوب من طرف الإنسان إلى فهم خبايا الكون.

2/ الوجود:

لقد بينا في مبحث المعرفة. أن المعرفة تحدث من خلال علاقة الذات بالموضوع. وفي هذه العلاقة يكون الفكر صوب شيء موجود في الخارج. فموضوع المعرفة إذن هو الوجود. ويصبح مبحث المعرفة يقتضي مبحث الوجود. فالفلسفة الأولى كانت

[13] أيمانويل كانط: نقد العقل الخاص، تر، موسى وهبة، الإنماء القومي، ص 32.
[14] عمار طالبي: مدخل إلى عالم الفلسفة، ص 159.

تبحث كما قال أرسطو في دراسة الوجود بما هو موجود. وفي هذه الدراسة انتقل الإنسان من دراسة الوجود المادي الذي هو موضوع المعرفة كمشاهدة أولى، إلى دراسة الوجود الداخلي ومعرفة أصل التفكير الإنساني ووجوده وماهيته.

حيث نجد أن الوجود يدرس ما هو مطلق. وليس من حيث هو جزئي. فالبيولوجيا تدرس حصة من الوجود، وهي الكائنات الحية. والفيزياء تدرس جزء من الوجود. ولها موضوعها الخاص. في حين أن الفلسفة الأولى تدرس الوجود بكليته. من حيث هو شامل. وتتعلق بالأسئلة التالية. ما أصل الوجود؟ وما معنى أن شيئًا موجودًا؟ وكيف ندرك أنه موجود؟ وما هو هذا الوجود المطلق؟. [15].

لكن علم الوجود أو الأنطولوجيا Existence كما بين صليبا في معجمه. "هو قسم من الفلسفة، وهو يبحث في الموجود في ذاته مستقلًا عن أحواله وظواهره. أو هو علم الموجود من حيث هو موجود... وأهم مسائل هذا العلم تحديد العلاقة بين الماهية والوجود... وتعني فلسفة الوجود philosophie de l'Existence التي موضوعها البحث في الوجود الإنساني، وتوضيح الأسباب والعوامل المؤثرة فيه"[16]. ويصبح علم الوجود وفق هذا الطرح أحد مباحث الفلسفة الذي يبحث في ماهية الأشياء من حيث وجودها وأصلها. لا أن يبحث في أعارضها ولواحقها من حيث التشكل.

فالوجود مفهوم فلسفي يقصد به مطلق الواقع ويقابله العدم. فالشيء الموجود هو الشيء المتحقق في الحضور سواء كان عينيًا، أو ما ترك شيء يدل على حضوره

[15] عمار طالبي: مدخل إلى عالم الفلسفة، ص 297
[16] جميل صليبا : المعجم الفلسفي، ج2، ص من 558إلى ص 562

في الوجود. وينبغي أن لا نخلط بين الوجود وبين مصاديقه. فهو يطبق بمعنى مشترك بين موجودات مختلفة في تحققها وماهياتها. يطلق على الإنسان وعلى الله وعن الشجرة[17]. فكل هذه يمكن أن تدخل ضمن الوجود. لكنها تختلف في وجودها وماهيتها فالله ليس كمثله شيء في الوجود. والإنسان يختلف في وجوده عن الشجرة. لكن كلها تدرس ضمن فلسفة الوجود.

ومفهوم الوجود مفهوم واضح بذاته ترتد إليه كل المفاهيم. من الوضوح في المعنى. كقولنا عمرو موجود أو الطاولة موجودة. فهذا فعل بسيط ثابت في الذهن معروف بذاته لا يحتاج إلى واسطة لفهمه. لكن تحققه ضمن الأذهان، عن الكيفيات التي حصل بها هو الذي يحتاج إلى الفهم. وهذا ما ذهب إليه هيدغر وحاول أن ينقل هذا المفهوم من الجانب الغير مفهوم في دلالة الاستعمال إلى الجانب الواضح في الاستعمال.

وفي مجال الفلسفة قديمًا علم الوجود يقارب الميتافيزيقا أو الفلسفة الأولى. لأنه يهتم بالبحث في جوهر الأشياء من حيث تحققها في الوجود. وهو طرح ميتافيزيقي. وهناك فرق بين الوجود والماهية. فالوجود هو الذي تشترك فيه كل المواجودات. لكن الماهية تختلف من موجود إلى آخر. وهي التي تميزه عن غيره. فالإنسان والنبات كلاهما يشتركان في خاصية الوجود. أنهما موجودان. لكن ماهية الإنسان تختلف عن ماهية الوجود.

[17] عمار طالبي: مدخل إلى عالم الفلسفة، ص 298.

3/ مبحث القيم:

يعتبر مبحث القيم أحد مباحث الفلسفة الثلاث. إضافة إلى المعرفة والأنطولوجيا. ويظم الحق والخير والجمال. (المنطق والأخلاق والجمال). ومن الناحية اللغوية مأخوذ من القيم valeur "قيمة الشيء في اللغة قدره، وقيمة المتاع ثمنه، يقال قيمة المرء ما يحسنه... والقيمة مرادفة للثمن إلا أن الثمن قد يكون مساويًا للقيمة أو زائدًا عليها، أو ناقصًا عنها... (يوسف). ويطلق لفظ القيمة من الناحية الموضوعية على ما يتميز به الشيء، من صفات تجعله مستحقًا للتقدير كثيرًا أو قليلًا. فإن كان مستحقًا للتقدير بذاته كالحق، والخير، والجمال، كانت قيمته مطلقة. وكان مستحقًا للتقدير من أجل غرض معين كالوثائق التاريخية. كانت قيمته إضافية"[18]. وعليه تصبح القيم هي مجمل المعيار الذي يقابل الفعل من حيث الحسن أو القبح، أو الخير أو الشر، أو الحق أو الباطل.

أما من الناحية الاصطلاحية فإن نظرية القيم Axiologie "هي البحث في طبيعة القيم وأصنافها، ومعاييرها... ترتبط بالمنطق وعلم الأخلاق، وعلم الجمال، ولها معنيان: الأول هو النظر في إحدى القيم كقيمة العقل مثلًا. والثاني هو النظر الانتقادي في معنى القيمة على الاطلاق"[19]. وبالتالي هي تدعو إلى القيم كمعيار إنساني يجب أن نسير عليه. وقد تتجه بالنقد إلى القيم الإنسانية من خلال معايير إتيقية توجه السلوك البشري قصد السمو والسعادة.

[18] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص ص 212، 213.
[19] المرجع نفسه، ص 215

ومن الناحية الفلسفية هناك علاقة بين القيمة والوجود. إذ لا يمكن من الناحية المنطقية العقلية تصور وجود أحدهما بمعزل أن الآخر. ولولا هذا مكان للوجود قيمة. وللقيمة وجود. كما ذهب إلى ذلك صليبا. وهنا ظهر اتجاهين فلسفيين. الأول يتزعمه الوجوديون يقولهم أن وجود الشيء مبدأ لقيمته. فالشيء الذي لا يحقق وجود لا يكون له قيمة. وهذا ما ذهب إليه هيدغر عندما رأى أن قيمة الإنسان تكمن في تحقيق ماهيته الوجودية. فلا يمكن أن يكون له قيمة بمعزل عن تحقيق وجوده ككائن. والاتجاه الثاني يتزعمه الأخلاقيين. يرون أن قيمة الشي مبدأ وجوده. يحث يذهوبن إلى القول أن الشيء لا يمكن أن يكون دون قيمة. فالقيمة الخلاقية هي التي تجعل مثلًا من الإنسان إنسانًا بكيانه. فدون قيم يصبح مثل الحيوان. أو يخرج من دائرة الإنسانية. فقيمته هي التي تحدد وجوده في هذا العالم.

فالإنسان يتساءل دائمًا في مواقف كثير تواجهه كيف يمكن له ان يقرر فيها [20]. سواءً بالصدق أو الكذب. وهنا نجده في القضايا المنطقية. التي نحكم فيها بصدق القضية من كذبها. كأنقول "سقراط فان" فنحن أمام قضية سنقوم بالحكم عليها بالصدق او الكذب. فإن كان سقراط فان فإننا نقول القضية صادقة. وإنا كان سقراط غير فان فإننا نقول اقضية كاذبة. ونقيس على ذلك القضايا الأخرى التي تواجد الإنسان في كل حياته. وهناك أشياء نحكم فيها بالخير والشر. ونحن هنا نجد أنفسها في الجانب الأخلاقي. كأنقول هل السرقة هي خير أو شر. أو هل الديمقراطية خير أم شر. فنحن هنا نقدر قيمة هذا الفعل الأخلاقي. وهناك أشياء تدخل في نطاق الحكم الجمالي. ونحن نحكم عنها بالحسن أو القبح. فمثلًا نحن أمام صورة رسمها

[20] عمار طالبي: مدخل إلى عالم الفلسفة، ص 59.

فنان. فنحن نحكم على هذه الصورة انطلاقًا من مجموعة من المعايير الجمالية والقيمة التي تحملها هذه الصورة. ثم نقول هل هذه الرسمة جميلة أو قبيحة. وبالتالي فإن مبحث القيم يضم هذه المنطلقات الثلاث المنطق، اللأخلاق، والقيم.

الأستاذ المسؤول عن المقياس : محمودي خليفة

مقياس : مدخل إلى الفلسفة .

المستوى السنة الأولى :LMD s 1

المحاضرة: الفلسفة وتجاوز مرحلة التفكير الأسطوري

أهداف المحاضرة:

1- **معرفة الطالب لمفهوم الأسطورة**

2- **معرفة الطالب كيفية نشوء التفكير الخرافي**

3- **معرفة الطالب لمرحلة التفكير الأسطوري.**

4- **معرفة الطالب للعلاقة بين الفلسفة والأسطورة.**

5- **معرفة الطالب كيفية تجاوز التفكير الفلسفي للتفكير الأسطوري.**

مقدمة:

المتتبع للتاريخ الفلسفي يمكن له القول، أن الحضارة اليونانية قد كانت شاهدة على ازدهار الفلسفة ونبوغ العقل البشري، وهذا الازدهار والنبوغ لم يكن من عدم. أو بمحض الصدفة. بل كان نتيجة الشغف الدؤوب للعقل البشري في تأمل وتحليل المظاهر التي تعتري الإنسان في حياته. لكن هذا التفكير الفلسفي لم ينشأ من عدم، وإنما كان كتقويض للتفكير الأسطوري، وذلك ما نلتمسه في المراحل الأولى من نشوء العقل الفلسفي والذي كان شاهدًا على تقويض انتشار الأسطورة والخرافة، ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل الآتي: ما هي ملامح نشوء التفكير الخرافي لدى اليونان، وهل استطاعت الفلسفة تجاوز ذلك؟.

1/ تعريف الأسطورة: Mythe. Muthos

لقد عرف جميل صليبا الأسطورة بقوله : "والأسطورة في اللغة هي الحديث الذي لا أصل له، يقال: إن هذا إلا أساطير الأولين. وللأسطورة عدة معان منها: الأسطورة قصة خيالية ذات أصل شعبي تمثل فيها قوى الطبيعة بأشخاص يكون لأفعالهم ومغامراتهم معان رمزية، كأساطير اليونانية التي تفسر حدوث ظواهر الكون والطبيعة بتأثير آلهة متعددة. أو هي حديث خرافي يفسر معطيات الواقع الفعلي، كأسطورة العصر الذهبي أو الجنة المفقودة"[21]. وعليه فإن الأسطورة وفق هذا التعريف تتضمن وصفًا لأفعال الآلهة على التصور الإنساني أو حوادث خارقة لأشخاص في أفعالهم.

قد "تروي الأسطورة تاريخًا مقدسًا، وتخبر عن حدث وقع في الزمن الأول.زمن البدايات. العجيب. تذكر كيف خرج واقع ما إلى حيز الوجود. بفضل أعمال باهرة قامت بها كائنات خارقة. عظيمة، سواءً كان ذلك الواقع كليًا مثل الكون، أو جانبًا منه.كأن يكون جزيرة أقام فيها الناس... أما شخصياتها فهي كائنات خارقة، تعود شهرتها على الوجه الخصوص إلى المآثر التي أتتها في زمن البدايات.وبذلك تكسف الأساطير عن نشاطها الإبداعي.وعن القداسة...تصف الأساطير الحالات المختلفة المؤثرة والدرامية لبروز العنصر المقدس أو الفائق الطبيعة"[22]. فالأسطور هي النسج الخيالي للإنسان. زمن بداية العقل في تفسير الظواهر. فيلجأ إلى الشيء المفارق للواقع الذي تملك قدرة خارقة قادرة عن خلق واقعها.

[21] جميل صليبا:المعجم الفلسفي، ج1، ص 89

[22] مرسيا إلياد: ملامح من الأسطورة، تر، حيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص 11.

2/العقائد اليونانية (المحمل الأسطوري):

لقد آمن اليونانيون القدامى بمجموعة من العقائد الدينية (تحمل بعدًا أسطوريًا) التي مثلت طبيعة تفكيرهم واحتوت على طرائق معيشتهم وتقاليدهم الخاصة، وهي في المجمل عبارة عن مجموعة من الأشعار والقصص التي تخاطب الأسطورة والخيال، وتعالج قضايا الكون وأسراره، وقد عرفت هذه الأشعار ببراعة فائقة في التفكير، ولكن رغم ذلك لا تدرج في دائرة الفلسفة وهذا ما عبر عنه الفيلسوف هجيل بقوله "**إن الدين كالشعر يحتوي على أفكار، والدين لا يظهر فقط على طريقة الفن،كما هو حال الديانة الاغريقية بشكل خاص، بل يتضمن أفكارا وآراء عامة: ويحدث الشيء نفسه في الشعر...وإن أفكارا من هذا النوع مثلا حول القدر عند هوميروس وفي التراجيديات اليونانية، حول الحياة والموت، حول الوجود والزوال، الولادة والوفاة، لهي أفكار مجردة حقا وهامة غالبا ما نجد تمثيلات صورية لها في الأشعار الهندوكية مثلا. ولكن حتى هذا النوع لا يتوجب علينا اعتباره وتناوله في تاريخ الفلسفة**"[23] وهكذا نفهم بأن التفكير اليوناني القديم هو تفكير لاهوتي خرافي، اعتنقه اليونان القدامى من أجل التخلص من المعاناة والشدائد المعاشة عن طريق تقربهم من الآلهة. ويرون أن عالم الآلهة مشابه لعالم البشر. فخلقوا ألهتهم على شاكلتهم. وهذا ما جعل الفلسفة تقوض هذا التفكير الخرافي. بأن الآلهة لا يمكن أن تكون بهذه السذاجة. وانتهى أرسطو عن طريق السببية إلى الوصول السبب الأول للوجود برمته. وهو المحرك الأول. فتجاوز بذلك التفكير الذي يضع الآلهة موضع البشر.

[23] محاضرات في تاريخ الفلسفة(مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها)،ترجمة خليل أحمد خليل،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،الطبعة الثانية 2002،ص186. هيغل

ونجد من بين العقائد الدينية التي تصور الآلهة تصويرًا أسطوريًا يشبه عالم البشر. وتجعل من الملوك نصف ألهة. ما يلي:

أ/ الأورفية:Orphisme

أسسها الشاعر والموسيقي أورفيوس، وتقول الأسطورة أن موسيقاه كانت تسحر كل شيء. حتى الصخر والشجر والحيوان والوحوش. ترى هذه الديانة أن للبشر طبيعة خيرة تتمثل في نفس الإنسان ومصدرها ديونيسوس نفسه، وطبيعة شريرة تتمثل في جسد الإنسان مصدرها طائفة من الآلهة الأشداء يسمون بالتيتان Titans والنفس تظل سجينة في البدن عقابا لها على خطأ اقترفته أثناء وجودها إلى جانب الآلهة[24]، أي أن الجسد هو بمثابة سجن للنفس وهي في صراع مستمر معه، لذلك ينبغي على الإنسان أن يتطهر من الشر الكامن داخله عبر التناسخ الذي يرتقي بالنفس إلى أعلى مراتب النقاء، وذلك يستلزم ولادات متعددة لأن حياة أرضية واحدة لا تكفي.

ب/ ديانة إلوسيس:Eleusis

هي واحدة من الديانات السرية التي ذاع صيتها قديما عند اليونان وتقوم العبادة في هذه النحلة على أسطورة غامضة وتعاليم ظلت سرا مكتوما مدة ألف عام، وكان المريدون يمثلون قصة أسطورية لكي يبعثوا في نفوسهم العواطف التي انفعل بها الآلهة، ويتلون عبارات مبهمة، ويرقصون على صوت موسيقى صاخبة لكي يحققوا حالة الجذب أو الاتحاد مع الآلهة[25]. وفي هذا التفسير تكمن الخرافة والأسطورة.

---

[24] محمد فتحي عبد الله: النحلة الأورفية أصولها وآثارها في العالم اليوناني، كلية الأداب، جامعة طنطا، مصر، ص127.

[25] حربي عباس عطيتو: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 1999،ص62.

3/الأشعار الأسطورية:

لقد سبق المعجزة اليونانية معجزة أخرى تمثلت في المعجزة الأدبية التي عرفت انتشاراً واسعاً للقصص والأساطير التي تحاكي سير الأبطال وتصف الملاحم وتفسر قضايا الكون والخلق والوجود، ولعل أبرز تلك القصص ما ورد مع هوميرروس Homère وهوزيود Hésiod ، حيث كان لتراثهما الأدبي الأثر البالغ في تنوير الفكر اليوناني والنهوض بالعقل البشري، من خلال تزويده بزاد هائل من الأشعار والقصص المنظمة والمنسقة التي تصف الآلهة وأنسابها وتناقش شتى مظاهر الحياة وعادات وتقاليد الشعب اليوناني وحاجياتهم اليومية، كما تحمل في طياتها مجموعة من الحكم والمواعظ التي ظل اليونانيون القدامى يرددونها طوالا. لكن العقل الفلسفي لم يتوقف عند هذه الأشعار فقط. وإنما تعداه من خلال النقد. ليؤسس لبناء فكري فلسفي عقلي قوي يتجاوز هذا النسق الأسطوري.

أ- هوميروس Homer

هو شاعر يوناني عاش بين القرنين العاشر والحادي عشر قبل الميلاد، يعتبره المؤرخين واحداً من أعظم الشعراء في التاريخ، ضاع كثير من شعره، ولم يبقى منه إلا الالياذة والأوديسا[26]. تمثل هاتين القصيدتين أقدم النصوص في الفكر اليوناني، وتشكل أجمل الأثر في الأدب العالمي، وقد عرفت فيما بعد باسم انجيل الإغريق.

موضوع الإلياذة والأوديسا

يقال بأن الإلياذة تتألف من ستة عشر ألف بيت، وتُقسم إلى أربع وعشرين أنشودة. أما موضوعها فتتخذه من حوادث حرب طروادة، التي دارت بين الجيش الطروادي

[26] أحمد أمين وزكي نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1935، ص03.

بزعامة البطل هكتور، والجيش الاسبرطي بزعامة البطل أخيلليوس، والتي كانت شاهدة أيضا على مشاركة أكثر أبطال اليونان وملوكهم وأمرائهم. وتبدأ الالياذة تفاصيل أشعارها بالقول "**أنشدي يا ربة الشعر غضبة اخيليس Achilles بن بليوس Peleus تلك الغضبة المدمرة التي جلبت ألوانا من الحزن تعد بالألوف وأطاحت بأرواح أبطال صناديد كثيرين إلى عالم الأموات وتركت أجسادهم طعمة للكلاب والجوارح فتحققت إرادة زيوس...**"[27]

أما الأوديسة فلا تقل عن الإلياذة إلا ببضع آلاف من الأبيات. وتتخذ موضوعاتها مما تعرّض له أوديسيوس أحد الملوك والقادة اليونايين، من مخاطر وهو في طريق عودته إلى (إثاكه) مقر ملكه، ومن الانطباع الذي ساد أهله وأصدقائه بعد أن طال غيابه وفُقد أمل العثور عليه، حيث شاع الاعتقاد بينهم أنه قد لقي حتفه. يقول هوميروس في مطلع الأوديسة "**غن يا ربة الشعر عن الرجل الرحالة الذي هام يجوب في الآفاق بعد أن دمر مدينة طروادة المقدسة...**"[28] هكذا نجد بأن هوميروس دائما ما يناجي ربة الشعر بأن تلهمه الأغاني والأشعار التي يرغب في تلاوتها وترديدها أثناء سرده لتفاصيل تلك الملحمة.

/ دلالة الملحمتين في الفكر اليوناني

تحمل الملحمتين في مضامينها دلالات ومعاني عدة، تتعلق بمجموعة من المواضيع والأفكار المختلفة

[27] حربي عباس عطيتو: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص53.
[28] محمد الخطيب: الفكر الاغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1999، ص249.

التي هيمنت على التفكير اليوناني آنذاك، ومثلت أساطيرهم المختلقة. ومن أبرز تلك المواضيع نذكر:

– التفسير الأسطوري للطبيعة: وردت عند هوميروس حية مريدة كباقي الكائنات الحية، وذلك ما يُلتمس في قوله أن نهر زونتوس تملكه الغضب لأن أخيل ملأه بالجثث، وفي تشخيصه الليل والظلمات والموت والنوم والحب والشهوة، وفي تأليهه الأرض وقوله أنها ولدت الجبال والسماء، ثم تزوجت من السماء المحيطة بها من كل جانب فولدت أقيانوس الذي يمثل المصدر الأول للأشياء وولدت الأنهار. وعليه هذا التفسير للوجود الأول وعمل الطبيعة تفسير خرافي أسطوري لا يقبله العقل الفلسفي.

– الآلهة: تتواجد الآلهة حسب هوميروس في قمة جبل الأولمب يؤلفون ملكية على رأسها تزوس (زيوس) ثم يأتي بعده سائر الآلهات، وكلهم في صورة بشرية لا تختلف عنهم إلا في مسألة الخلود، التي يعتبرها هوميروس صفة إلهية ودون ذلك فهم يأكلون، ويشربون، ويتزاوجون، ويمرحون، ويألمون[29]. وعليه فسر حياة الآلهة على شاكلة حياة الناس. وظن أن عالم الآلهة مثل عالم البشر. وفي هذا تكمن أسطورة التفسير الهوميري.

– الإنسان: يرى هوميروس أن الإنسان مركب من نفس وجسد، أما الجسد فمتكون من ماء وتراب ينحل إليهما بعد الموت، والنفس هواء لطيف متحد بالجسد. متشكل بشكله ينطلق بالموت شبحا دقيقا لا يحسه الأحياء، فينزل إلى ملكة الأموات في جوف الأرض وقد احتفظ بالشعور وفقد القدرة على العمل، فهو يألم لذلك ويقضي هناك حياة تافهة خير منها ألف مرة الحياة على وجه الأرض مهما بلغت من بساطة وفقر ومعاناة[30].

[29] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936، ص04.
[30] المرجع نفسه، ص05.

- الأخلاق: يظهر الجانب الأخلاقي مع هوميروس في عمومه في صورة منحطة، خاصة من ناحية العاطفة الدينية، التي تبدوا ضعيفة إلى حد العدم، ومجال الخلق والمبادئ التي تظهر في صورة مقلوبة رأسا على عقب. والسبب في ذلك الضعف هو أن الشعر كان ينشد في بلاط أمراء أيونية، وكانوا على جانب كبير من الغنى والترف، وهكذا لم يكن الشعراء يتغنون بغير ما يروقهم، فيصورون الحياة على أنها سهلة وجميلة، والشهوة غالبة ومسموحة. لكن الأوديسا تبدوا أكثر تقدير للفضائل، حيث نجدها تمجد الرجل الحكيم الشجاع الصبور، والزوجة الوفية، والابن البار، والخادم الأمين[31]. ولأن أشعار هوميروس قد شكلت منهلا لكل الأجيال، سواء تلك التي عاصرته أو التي جاءت بعده، في شتى المناحي والمجالات، فقد كانت عرضة للكثير من النقد والدحض بالنسبة للفلاسفة الكبار، كهيرقليطس وطاليس وأفلاطون...وغيرهم. ويرون أن في هذا التصور الأخلاقي مكمن الأسطورة. لأنه بناها على تصور خارج نطاق الإنسانية.

ب- هزيود

يقول القدماء أن هزيود ولد سنة 848 ومات سنة 777 ق م ويروي بعض المؤرخين اليونانيين أن هيسيود قد كان معاصرا لهوميروس وأنه قد اجتمع به وقرأ عليه شعره فنال اعجابه[32]. من أهم قصائده أنساب الآلهة، وقصيدة الأعمال والأيام.

[31] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص06.
[32] محمد الخطيب: الفكر الاغريقي، المرجع السابق، ص265.

موضوع القصيدتين

تعرف القصيدة الأولى لهزيود ب"الأعمال والأيام"، وتضم حوالي 828 بيتا من الشعر وتنقسم إلى أربعة أقسام، الأول منها يختص بالوعظ والإرشاد موجها إلى أخيه الأصغر المدعو برسيس، والثاني منها حديث عن الزراعة والملاحة وقواعدهما، والثالث ينحو نحو المبادئ الأخلاقية والدينية وتأثيراتها على الناس، وأما الرابع والأخير فهو تقويم يعتمد في تقسيم الأيام إلى سعيدة ومشؤومة.

أما القصيدة الثانية فكانت تحت عنوان "أصل الآلهة أو أنسابها" وتبلغ أبياتها حوالي 1022 بيت وهي محاولة للكلام عن نشأة الكون والآلهة.

دلالة القصيدتين في الفكر اليوناني القديم

لقد حاول هزيود في أشعاره هذه أن يكشف عن الحقيقة الكامنة في هذا الكون دون تزييف أو أكاذيب، لكنه وقع في التفسير الأسطوري المفارق للتصور العقلي المقبول. وقد مكنه ذلك من الوصول إلى الأفكار والانطباعات التالية:

– قدم هزيود تفسير لنشأة الكون يقوم على نوع من السياق المنطقي والسببية، فالجزء عنده يخرج من الكل، والسبب قبل المسبب، والأصغر يخرج من الأكبر، لكنه لم يسلم من زلل التفسير الأسطوري الذي صوره هوميروس. وعلى ذلك يرى أن الجبال أخرجت من الأرض، والأنهار من المحيط، هذا تصور أسطوري لنشأة الكون بعيدة عن التصور العقلي. على رغم من القول أنه تظهر فيه نوع من السببية. لكنها ليست بالتفكير العقلي المقبول.

– يرى هزيود في معالجته لأصل العالم أن الحب واحد من أقدم وأعظم الآلهة، مستنبطا ذلك من قصة تزاوج الأرض والسماء، معتبرا الحب الذي كان سببا في تآلفهما وجميع

أبنائهما لا يمكن إلا أن يكون أجدر القوى الطبيعية[33]. هنا مكمن التصور الأسطوري والخرافي.

4/التجاوز الفلسفي للأسطورة:

لقد بدأ التفكير الفلسفي مع الفلاسفة الطبيعيون الذين حاولوا تفسير الكون تفسير مادي عقلي..

وقد بدأ هؤلاء في تجاوز التفكير الأسطوري للكون. وحاولوا أن يجيبوا عن نشأة الكون وفق تصور عقلي للمادة. فهناك من رأى أن الكون أصله الماء، باعتبار أن الماء يوجد في كل شيء. وهناك من رأى أن أصله الهواء. وهناك من رأى أن أصله النار. وهناك من رأى أنه يتكون من العناصر الأربعة ماء، هواء، تراب، نار. وبالتالي كان هذا التفكير المهد الأول لتجاوز التفكير الخرافي إلى التفكير العقلي القائم على مبدأ السببية في نشوء الكون. ومختلف مظاهره.

فنجد طاليس قد تجاوز التفسير الأسطوري لحدوث كسوف الشمس. الذي كان يثير الخوف لدى الناس ويرون فيه غضب الألهة. فقد سلبه هذا التفسير المقدس وأخضعه للتفسير العلمي. وتنبأ لهم بحدوث الكسوف في 585 ق م. [34]. وهذا التفسير المنطقي والعلمي للظواهر بدأ يتجاوز التفسير الأسطوري. وأصبح التصور الإنساني تصور عقلي لحدوث الظواهر. فدخل التفكير الفلسفي العقلي كبديل للتفكير الخرافي.

كما نجد ألكسيماندريس هو الآخر عندما بحث في الحفريات وجد أن الإنسان مستحيل أن يكون قد وجد منذ البداية على حالته هذه. وإنما كان أصله من الرطوبة وبالتالي

[33] حربي عباس عطيتو: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص59،60.
[34] أنظر: أميرة حلمى مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، ص 42

كان على هيئة الأسماك.[35] . (وبالتالي هو سابق للنظرية التطورية لدارون). فهذا التفسير المنطقي يستبعد العلل الغيبية والتفسير الأسطوري للوجود. وعليه أصبح الإنسان يستعمل عقله في فهم الظواهر. ومن هنا بدأ الفكر الفلسفي يتجاوز الفكر الأسطوري. لكن هذا التجاوز لم يكن كليًا وإنما بشكل تدريجي.

نجد أرنست كاسيرر يرى أن العقل الفلسي مع اليونان تجاوز الأسطورة بشكل تدريجي. وكأن الأمر يسير بخطة مرسومة المعالم . يقول: "ولم يكن من المستطاع تحقيق النصر على الأسطورة بمجرد ضربة... فلقد هاجموا موقعًا حربيًا تلو الآخر. ودكوا أمنع الحصون، حتى تسنى لهم في النهاية تحطيم كل الأسس التي يقوم عليها الفكر الأسطوري"[36]. وهذا الانجاز في نظر كاسيرر قد ساهم فيه كل المدارس المختلفة لليونان. وخاصة عندما توجه نظرهم صوب الطبيعة. وبدأ كل منهم يفسر الكون تفسيرًا طبيعيًا يمكن التحقق منه. بدل التفسير الأسطوري البعيد المنال العقلي.

كما يذهب هيجل إلى اعتبار وجود علاقة بين الأسطورة والفلسفة. ذلك أن الأسطورة من انتاج العقل أيضًا، كما الفلسفة. إلا أن الأسطورة تمثل اللحظة الأولى للعقل البشري. وكأنها مرحلة الصبى. في حين أن الفلسفة تمثل مرحلة النضج. لذا فإن الفلسفة في البداية اعتمدت على الأسطورة لتشرح فكرها. ولعل أفلاطون نموذجًا لذلك يقول يهجل: "إن أولئك الذين يستعملون الأسطورة في الفلسفة غير جديرين بأن نهتم بهم اهتمامًا جديًا، هذا صحيح. غير أن أفلاطون، كانت له أسبابه الوجيهة بلا ريب"[37].

[35] المرجع نفسه، ص 43.
[36] ارنست كاسيرر: الدولة والأسطورة، تر. أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص 81
[37] فريديش هيجل: محاضرات في تاريخ الفلسفة، تر، خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2002، ص 183.

لذا لإن الفلسفة قد عبرت بالأسطورة في البداية لكنها كانت تريد تقريب الفهم للناس في ذلك العصر لكنها تجاوزت التفكير الأسطوري في ما بعد.

ونجد بول ريكور يعطي لنا التقابل بين الأسطورة والفلسفة، هذا التقابل قائم على التناقض. من جهة فإن العقل الفلسفي يدين للأسطورة من جهة. ومن جهة حاول القضاء عليها باعتبارها تفسيرًا لا عقليًا للكون. يقول بول ريكور: "إن الأسطورة نمط من أنماط الخطاب الذي ادعا المعنى والحقيقة. ولما كانت الفلسفة هي الميدان الآخر الذي يطرح فيه سؤال المعنى والحقيقة بشكل جذري، كان من الضروري أن يطرح سؤال العلاقة بين الخطابين الأسطوري والفلسفي. إن الواقعة الأولية التي منها تنحدر كل النقاشات اللاحقة هي ان الأسطورة مهيأة لتقييمين متقابلين. وكأن للعقل غرضان متضادان داخلها فالعقل من جهة يدين للأسطورة بالشيء الكثير، ومن جهة ثانية يقصيها ويطردها"[38] . وكأن بول ريكور يضعنا أمام مفارقة حقيقة من جهة استفاد الفلاسفة من الأسطورة ولعل أفلاطون الذي حارب الأسطورة كان يأخذ أفكاره من أساطير الأورفية. ويعود في كتاب الثاني للجمهورية إلى أساطير هوزيود وهوميروس وغيرها من فن التراجيديا. لكن هذه العودة كانت لغرض تبيان الحلة كما شرحنا من قبل. والتفكير الفلسفي في ما بعد كان تجاوز للأسطورة، والتفكير الخرافي معًا.

[38] نقلا عن: محمد بهاوي:الفلسفة والتفكير الفلسفي، ص 44.

الأستاذ المسؤول عن المقياس : محمودي خليفة

مقياس : مدخل إلى الفلسفة .

المستوى السنة الأولى :LMD s 1

المحاضرة: الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية (العلاقة بينهما)

أهداف المحاضرة.

1- تهدف المحاضرة لمعرفة الطالب للمقصود بالحقيقة الدينية.

2- السعي الطالب لمعرفة الفرق بين الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية.

3- معرفة الطالب للعلاقة بين الفلسفة والدين.

مقدمة:

الحديث عن العلاقة بين الدين والفلسفة. تضرب أطنابها عمق تاريخ الفلسفة. إذ لم يخلو يومًا تاريخ البشرية من الحديثة عن ثنائية الدين والفلسفة. إما توافقًا من حيث أن الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية متوافقة من حيث الغاية. فكلاهما تريد الوصول إلى أصل الوجود والإجابة عليه رغم اختلاف منهجهما. وإما تعارضًا من حيث أن الحقيقة الفلسفة مبنية على قوة العقل والاستدلال. والحقيقة الدينية تظهر من خلال قوة مفارقة للذهن البشري ومتعالية عليه. وكثيرًا ما عانى الفلاسفة من رجال الدين عبر التاريخ البشري. لذا فما العلاقة بين الدين والفلسفة؟ .

1/ تحديد المفاهيم.

أ/ مفهوم الدين:

يعتبر مفهوم الدين Religion " جملة من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله، وعبادتها إياه، وطاعتها لأوامره. ويطلق الدين عند فلاسفتنا القدماء على وضع إلهي يسوق ذوي العقول إلى الخير، والفرق بين الدين والملة والمذهب، أن الشريعة من حيث أنها مطاعة تسمى دينًا. ومن حيث أنها جامعة تسمى ملة. ومن حيث أنها يرجع إليها تسمى مذهبًا"[39]. وعليه إن الدين متى نسب لله. والملة متى نسبت للرسول. والمذهب ينتسب للمجتهد. وكثيرًا ما نخلط في استعمال هذه المفاهيم.

ورغم هذا التعريف هناك التعريف الاصطلاحي للدين فنجد مثلًا: ماكس مولر عرف الدين بأنه "السعي نحو تصور ما لا يمكن تصوره، وقول ما لا يمكن التعبير عنه، إنه التطلع إلى اللامتناهي". ونجد هيجل أيضًا يقول: "هو ارتفاع الروح من المتناهي إلى اللامتناهي". وهربرت سبنسر يقول بأنه الاعتراف بأن جميع الأشياء الموجودة ليست سوى تجليات لقوة تجاوز معرفتنا"[40]. كل هذه التعاريف توحي إلى أن الدين هو اتحاد الذات مع قوة مفارقة تجاوز الذات الإنسانية في تصورها. إذ أن الدين هو العلاقة بين الإنسان وخالق الكون. أو بلغة الفلسفة علاقة الإنسان بالقوى المتحكمة في الكون والموجدة له.

[39] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص 572.
[40] نجوان نجاح الجدة: فلسفة الدين، مركز عين للدراسات، ط1، 2016، ص ص 19، 20.

ب/ فلسفة الدين.

تعتبر فلسفة الدين بالمعنى البسيط "هي فرع أو نوع من الفلسفة تهتم بدراسة الظاهرة الدينية وتحليلها ونقدها"[41]. وكل نقد للظاهرة الدينية بالإيجاب أو السلب وتحقيق في قضايا الدين في بعدها التاريخي والمعرفي. يدخل ضمن فلسفة الدين. وهي لا تهتم بدين دون آخر. ولا ملة دون أخرى. وإنما تدرس الدين بكل أنواعه. وانطلاقًا من هذا نحاول دراسة العلاقة بين الدين والفلسفة كل في مجاله.

2/ أوجه الاختلاف بين الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية

إن الاختلاف بين الحقيقة الديني والحقيقة الفلسفية تتجلى من خلال مجموعة من الشروط والمبادئ. وذلك سواء في الأصل أو المنهج أو الغاية ...إلخ. وسنوضح في الجدول التالي الفرق بينهما:

أوجه الاختلاف	الحقيقة الدينية	الحقيقة الفلسفية
من حيث المصدر	الحقيقة الدينية مصدرها مفارق عن الإنسان وهو الإله	الحقيقة الفلسفية مصدرها الإنسان الفيلسوف
الموضوع	الحقيقة الدينية مقدسة ومطلقة . رجل الدين لا	الحقيقة الفلسفية قابلة للنقد والتغيير. الفيلسوف يعالج كل الموضوعات.

[41] المرجع نفسه، ص25.

	يعالج كل الموضوعات. فقد يكون الفيلسوف أشمل	
المنهج	الحقيقة الدينة نبحث فيها من خلال تفسير النص المقدس	الحقيقة الفلسفية نبحث فيها من خلال المنهج التأملي النقدي
الغاية	غاية الحقيقة الدينية هي الوصول إلى عبادة الإله. ونيل الجنة . أي غاية أخروية وهو الخلاص	غاية الحقيقة الفلسفية هي الوصول إلى حقيقة الأشياء فهي غاية دنيوية.

3/ العلاقة بين الفلسفة والدين.

إن علاقة الدين بالفلسفة. هي علاقة تمد عبر التاريخ البشري. أو إن صح القول تبدأ من خلال بداية الفلسفة في النظر إلى الدين ونقده. أو عندما أصبحت الفلسفة طريق للمعرفة تقابل الدين. فظهرت العلاقة بينهما. وهي على وجهان

أ/ وجه التعارض:

يذهب الكثير من الفلاسفة ورجال الدين أن هناك تعارض بين الفلسفة والدين. ذلك أن رجال الدين يرون في الفلسفة صناعة بشرية، قاصرة على أن تكون هي المقيم للدين والناقدة له. أي العقل في حدود الدين. ولا يمكن لها أن تحل محل التشريع

الإلهي وما على الفلسفة إلا أن تتقبل الدين. في حين نجد الفلاسفة يعارضون الدين من خلال أن الدين فكر أسطوري خرافي. ومهمة الفلسفة تخليص الإنسان من هذه الأسطورة والوهم. ويرون أن التفسير الديني هو تفسير لخوارق الطبيعة عندما عجز العقل البشري عن حلها. لكن عندما تطور الفكر البشري، وحل مسائل كثيرة كانت تشغل الفكر الإنساني. فعلينا تجاوز التفسير الديني. إلى التفسير العقلاني المقبول.

وتصبح "مسألة التعارض بين العقل والوحي مسألة أوجدها الفكر الإنساني، الذي أخذ أشكال هذا التعارض في كل عصر من المعارف البشرية الرائجة فيه"[42]. وعليه يصبح مسألة التعارض خلقها التقدم العلمي، أو تطور العقل البشري، وتطور الفلسفة معه باعتبارها تصور عقلي.

ونجد في التعارض بين الدين والفلسفة ما ذهب إليه أبو حامد الغزالي في الرد على الفلاسفة ولعل كتابه "**تهافت الفلاسفة**" دليل هذا القول. إذ يرى أن الفلاسفة في مجال الإلهيات قد زاغوا عن جادة الصواب. لذلك كفرهم في ثلاث مسائل مختلفة. لعل أولها أن "الله يعلم الكليات دون الجزئيات" و "أن تحشر الأرواح دون الأجساد" و "قدم العالم"[43]. حيث يرى أبو حامد أن هذه المسائل تعارض الدين بالجملة والتفصيل. وعلى الفلاسفة المسلمين تجاوز هذه الأفكار. التي في نظره محل كفر. فلا يمكن للإله أن يعرف الكليات دون الجزئيات. فمعرفة اكل تقتضي معرفة الجزء. كما أن القول بقدم العالم لا يقبل دينيا ولا عقليًا في نظره. ذلك أن الكون يسير لغاية

[42] المرجع نفسه، ص ص 143، 144.
[4343] أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، دار المعارف مصر، ط4، 1966، ص 96.

معينة ووفق قوة أوجده هو الله. ولا يمكن للعالم أن يكون قديمًا وإنما هو مخلوق بقدرة الله وقدره. وهذا الطرح يوحي بتعارض بين الفلسفة والدين.

نجد هنتر ميد يرى أن أنه من بين الأخطاء اللاموضوعية القول أن الدين والفلاسفة توأمان عقليان متلاصقان. إذ أن هذا الطرح يفتقد للتحديد المنطقي والتاريخي معًا. حيث أن الفلاسفة قد لقوا الويل من طرف رجال الدين. يقول ميد: "فإن الكنيسة (في قرعيها الكاثوليكي والبروتستانتي معًا) لم تكن على استعداد خلال الجزء الأكبر من تاريخهما الطويل، للسماح للفكر النظري بالتنقل بحرية في جميع أرجاء عالم الفكر. ذلك لأن الكنيسة كانت عادة تبدي رغبتها في أن تقوم هي على الأقل، بإصدار جوازات السفر التي تبيح القيام بأمثال هذه الرحلات. وبذلك تحتفظ لنفسها بسلطة البث في من يسمح له بالسفر الفلسفي"[44]. فالكنيسة كسلطة دينية كانت تحتكر السلطة لقمع التفكير الفلسفي للسير بحرية، وخاصة إذا تعارض الفكر الفلسفي مع الفكر الديني وقد يصل حد القتل. وكثيرًا ما قتل الفلاسفة والعلماء لمخالفتهم الدين.

لذا نجد ميد يدعونا إلى إعادة قراءة العلاقة بين الدين والفلسفة. ويفترض أن تشابه وتقارب الموضوعات بينهما. جعل الكثير يرى أن العلاقة بين الفلسفة والدين علاقة صداقة وقرابة. لكن في الحقيقة وفق نظر ميد هي علاقة صراح واضطهاد في الكثير من الأحوال والأطوار. فنجد هناك تضاد بين الفلسفة والدين. حيث أن الأول لا يقبل بشيء إلا إذا كان متوافقًا مع العقل وقائم على مبادئه. في حين "إذا لم يستطع رجل الدين أن يجد أسبابًا عقلية لهذا الاعتقاد، فإنه يجعل العقل خاضعًا،

[44] هنتر ميد: الفلسفة تاريخها ومشكلاتها، تر، فؤاد زكريا، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط 2، 1975، ص 33.

ويهيب بالإيمان إن يمده بالاقتناع الذي يفتقر إليه. وعلى قدر ما يطلب الفيلسوف رضا عقليًا، يطلب الشخص المتدين رضا انفعاليًا"[45]. ولذا فإن التعارض بين رجل الدين والفيلسوف عميقًا جدًا. من حيث الغاية ومن حيث المبدأ. لذا كثيرًا ما كنت تحدث مجازر بسبب إخضاع العقل للنقل.

ب/ وجه التقارب.

يذهب الكثير من المفكرين أن العلاقة بين الفلسفة والدين هي علاقة تقارب لا تضاد. حيث أن كل من الدين والفلسفة يجيب عن المشاغل المعرفية للإنسان. حيث نجد مثلا ابن رشد من بين الفلاسفة الذين وفقوا بين الدين والفلسفة. وبين أن كل من الحكمة والشريعة في حاجة إلى بعض. وهما يعبران عن حقيقة واحدة، وكل منهما على طريقته الخاصة. يقول في هذا الصدد: "الحكمة صاحبة الشريعة وأختها الرضيعة"[46]. وينطلق من أن الفلسفة القائمة على النظر العقلي حق. والشريعة القائمة على الوحي الإلهي حق. "فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه"[47] . لذا جعل ابن رشد من الفلسفة والدين متكاملين. كلهما يخدم الآخر.

وهذا الموقف نجد في علم الكلام عند المسلمين. الذي سعى إلى الرد على الشبهات والدفاع عن الدين بواسطة حجج عقلية فلسفية. واستعان علماء الكلام بالمنطق والفلسفة. وهذا ما ذهب إليه المعتزلة الذين قالوا "العقل قبل ورود السمع"[48]. فهم يرون أن العقل مصداق لفهم الوحي. وأن الله أنزل كلامه وفق ما يفهمه عقول

[45] المرجع نفسه، ص 38.
[46] ابن رشد: فصل المقال، ص 58.
[47] المرجع نفسه، ض 35.
[48] الجابري: العقل الأخلاقي العربي، ص 115.

البشر. "لأن العلم بذلك لا يأتي إلا عن طريق العقل والله لا يمدنا بالعقل إلا ليكون هاديًا ومرشدًا"[49]. وعليه تصبح الفلسفة كنظر وسيلة لفهم الشريعة. والدفاع عنها.

ونجد في الدين المسحي القديس توما الإكويني الذي بين أن كل من العقل والنقل وسيلتان من وساءل المعرفة. فهناك حقيقة في مجال الدين وحقيقة في مجال العقل والفلسفة. والعقل والنقل ليس نقيضان. بل يمثلان خطوتين متتاليتين. تكمل الواحدة منهما الأخرى في مجال المعرفة [50]. وعليه فإن العلاقة بين الفلسفة والدين هي علاقة تكامل لا تناقض.

ونجد علماء فيزياء وعلم يرون أن الدين ضروري حتى في العلم. مثلا نجد انشتاين يتساءل عن اضطهاد الكنيسة للعلماء رغم أن الشعور الديني في نظره باعث للبحث العلمي. يقول انشتاين: "أنا أؤكد أن الشعور الديني الكوني هو الباعث الأقوى والأنبل للبحث العلمي"[51]. فالدين له تأثير حتى في العلم فما بالك بالفلسفة التي تتقارب مع الدين في الطرح حول مختلف القضايا.

ولقد ذهب الفيلسوف الياباني كيجي نيشيتاين إلى القول أن هناك علاقة ضرورية بين الدين والفلسفة. وأن الدين ضوروي في حياتنا فهو يسر مع الحياة. وان كل من يرطع ما حاجتنا لدين هو النهاية يفكر ضمن نطاق الدين. يقول: "ومع ذلك فإن هذا لا يعيني في المقابل أن الدين مجرد شيء ما نحتاجه لكي نعيش على نحو أفضل. بل إن الدين يؤدي مع الحياة ذاتها. فسواءً أكانت الحياة التي نعيشها ستنتهي

[49] أرتور؛سلوم توفيق، الفلسفة العربية الإسلامية، ص 50.
[50] زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، 138.
[51] روبرت سولمون: الدين من منظور فلسفي، تر، حسون الساري، العارف للمطبوعات، العراق، ط1، 2009، ص 30.

أخيرًا إلى العدم أم إلى نيل الحياة الأبدية. فإن الدين سيبقى في غاية الأهمية للحياة ذاتها"[52] فالدين ضروري في نظر نيشيتان كضرورة الفلسفة والعلم في الحياة المعاصرة.

[52] المرجع نفسه، ص 35.

الأستاذ المسؤول عن المقياس : محمودي خليفة

مقياس : مدخل إلى الفلسفة .

المستوى السنة الأولى :LMD s 1

المحاضرة: علاقة الفلسفة بالعلم

أهداف المحاضرة:

1- معرفة الطالب للمقصود بالعلم.

2- معرفة الطالب للعلاقة بين الفلسفة والعلم؟

3- معرفة الطالب لأوجه الاختلاف بين الفلسفة والعلم.

4- سعي الطالب لمعرفة أيهما يخدم الآخر.

مقدمة:

لقد دأب القول أن الفلسفة أم العلوم. فكلها تعود إلى رحمها. من منطلق أن كل العلوم قد نشأت في أحضان الفيلسوف. لكن هذا الطرح لم يبقى دائمًا وأبدًا صالح لكل زمان. حيث أن العلوم بدأت تنفصل عن الفلسفة واحدة تلوى الأخرى. بداية من الرياضيات، ثم الفيزياء. ثم الفلك، ثم البيولوجيا. وهكذا دواليك إلى أن وصل إلى علم النفس. وبدأت هذه العلوم تبني صرحًا خاصًا بها بعيدًا عن ملكوت الفلسفة. وتحكم الغلق عن نفسها داخل قصرها. ورغم هذا إلى اليوم يرى الفيلسوف أن هذه العلوم لم تنفصل بعد عن أحضانه باعتباره المؤسس لكل شيء. فهل هذا الابتعاد

للعلوم عن الأم بلغ حد الانفصال التام؟ أو أن العلوم لا يمكن أن تنفصل عن الفلسفة باعتبارها أم العلوم؟.

1/ تعريف العلم.

إن العلم "هو الإدارك مطلقًا تصورًا كان أو تصديقًا. يقيني كان أو غير يقيني. وقد يطلق على التعقل، أو حصول صورة الشيء في النفس... والعلم مرادف للمعرفة. إلا أنه يتميز عنها بكونه مجموعة معارف متصفة بالوحدة والتعميم. وقد يقال أن مفهوم العلم أخص من مفهوم المعرفة. لأن المعرفة قسمان. معرفة عامية ومعرفة علمية... فمن تصنفيات العلوم عند أرسطو مثلًا إلى العلوم النظرية كالرياضيات والطبيعيات. والعلوم شعرية. كالبلاغة والشعر والجدل. والعلوم العملية. كالأخلاق والاقتصاد والسياسة. وفي وسع المرء اطلاق لفظ العلم على علم بعينه أو مجموعة علوم"[53]. فيصبح العلم وفق هذا فرع من فروع المعرفة.وهو يمتاز بالدقة والضبط بخلاف باقي المعارف الإنسانية الأخرى.

2/ أوجه الاختلاف بين الفلسفة والعلم.

من الممكن القول أن هناك اختلاف بين الفلسفة والعلم. في جوانب عديدة وكثيرة. وسنحدد بعض الجوانب التي تختلف فيها الفلسفة عن العلم.

أوجه الاختلاف	الفلسفة	العلم

[53] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص من 99 إلى 102.

الموضوع	الفلسفة تهتم بكل المواضيع. وتبحث في كل شيء.	في حين ان العلم متخصص يبحث في ميادين محددة ومضبوطة
المنهج	المنهج الفلسفي هو منهج تأملي نقدي. ينطلق من الذات الإنسانية.	المنهج العلمي تجريبي فهو ينطلق من الطبيعة.
النتائج	النتائج الفلسفية ليست دقيقة لأنها تعتمد على أراء الفلاسفة. ولا يمكن التحقق منها عمليًا	نتائج العلم دقيقة. ويمكن التحقق منها بواسطة نظرية علمية مضبوطة
الغاية	غاية الفيلسوف هو معرفة الحقيقة في صوريتها.	غاية العالم هو إعطاء قانون عام للظاهرة.

3/ العلاقة بين الفلسفة والعلم.

المتتبع لتاريخ الفلسفي يلحظ أن الفلسفة في بدايتها كانت دائمًا تقدم نفسها على أنها العلم الذي يدحض الوهم والأسطورة والزيف. فكل الفلاسفة هم علماء بالدرجة الأولى. أو أغلبهم كذلك. إذ بين كارل ياسبرز أن الفلسفة "منذ بدايتها الأولى اعتبرت نفسها علمًا، بل وأنها العلم من الطراز الأول. وقد كان الهدف الرئيس للمشتغلين بها. هو

تحصيل أعلى درجة من المعرفة اليقينية"[54]. لكن بعد التطور الذي عرفته العلوم بمعناها الحالي. لا يمكن المجازفة والقول أن الفلسفة علم. فهي لا يمكن أن تكون علمًا بالمعني الحالي للعلم. الذي هو مجموعة قوانين مبرهنة ودقيقة. فالفلسفة ليست كذلك بأي وجه من الوجوه. فهي دراسة نقدية للمنتوج الثقافي بما فيها العلم.

وفق هذا الطرح تصبح علاقة الفلسفة بالعلم علاقة تكامل. "لأن الفلسفة حية دائمًا في العلوم ولا يمكن أن تنفصل عنها، حتى أن إيضاح كلتيهما، لا يمكن أن يتحقق إلا بالتعاون فيما بينهما، أعني بين الفلسفة من ناحية والعلوم من ناحية أخرى"[55]. لا يمكن للعلم أن يتطور بمعزل عن التصور الفلسفي. فالعلم يبدأ من الفرضية التي هي في غالب موضوع الطرح الفلسفي. ليصل العلم ويعطي حكمه في هذه الفرضية. كما نجد الفلسفة من ناحية أخرى تقدم النقد للبحث العلمي وهذا ما ظهر جليًا في ما يعرف بالإبستيمولوجيا. التي هي دراسة نقدية للمبادئ ونتائج العلوم. فالعلم دون ضابط ونقد الفلسفة له يصبح مجرد وسيلة للعدوان والطغيان. فالفلسفة هي الموجه للعلم إن حاد عن طريقه. وهذا ما بينه هابرماس عندما نقد تطور العلم في مجال البيولوجيا. وقال في بداية كتابه "مستقبل الطبيعة الإنسانية لنحو نسالة ليبرالية" بقول : "ماذا سيفعل الإنسان إزاء الحياة التي قدر له أن يعيشها؟". لن يجب عن هذا السؤال إلى الفلسفة. عندما تكون هي الضابط والرقيب للعلم في مختلف مجالاته.

وهذه الفكرة نجد لها مبرر عند جان بياجي عندما بين أن "نشأة التفكير الابستيمولوجي شيئًا فشيئًا من داخل العلوم نفسها. بسبب بعض الأزمات أو الصراعات التي تكونت

[54] كارل ياسبيرس، نقلًا عن محمد بهاوي: الفلسفة والتفكير الفلسفي، ج3، ص 74:
[55] المرجع نفسه، ص 76.

بفعل السيرورة الداخلية للإنشاءات الاستنتاجية أو لتأويل معطيات تجريبية. ولأجل القضاء على تلك الأزمات والصراعات، كان من الضروري إخضاع المفاهيم والمناهج والمبادئ المستعملة، حتى ذلك الوقت لنقد مثمر. يكون بمقدوره تبيان قيمتها الابستيمولوجية. وعلى إثر ذلك لا يعود النقد الابستيمولوجي تفكيرًا تأمليًا في العلم فحسب. بل يغدو أداة على ضوئها يحصل التقدم العلمي"[56]. هكذا تصبح علاقة الفلسفة بالعلم علاقة ضرورية متبادلة. بأن يخلق العلم للفلسفة مواضيع جديدة للبحث فيها. ون جهة أخرى توجه الفلسفة العلم. بنقد نتائجها. وكأن الابستيمولوجيا قدم العزاء للفلسفة بأن أحيت مواضيعها من جديد. على حد تعبير هوايتد.

فالفلسفة لا يمكن أن تكون علمًا دقيقًا بالمعني المعهود للعلم. لكن هذا ليس عيبًا. لأن لكل واحد خاصيته وموضوعه الذي ينفرد به على الآخر. حيث نجد هوسرل يقول: "ومع ذلك فإن الفلسفة لم تستطع في أي عصر من العصور تطورها. أن تحقق هذا المطلب. أي أن تكون علمًا دقيقًا. حتى في العصر الحديث الذي يمضي قدمًا"[57] . فهذا القول لا يعني عجز وقصرها. ولكن يعني أن لكل واحد منهما مجاله الخاص الذي لا يمكن للآخر أن يكون فيه ماكن الآخر. وكل منها يخدم الآخر في موضعه.

من هنا يمكن القول أن هناك حدود فاصلة بين العلم والفلسفة. إذ بين راسل أن حركة النجوم من اختصاص علم الفلك. وعمل الآلة البخارية من اختصاص علم الميكانيكا. وتركيب الجسم البشري من اختصاص علم التشريح وعلم وظائف

[56] J. Piaget : la logique et la connaissance scientifique. ترجمة محمد بهاوي ،
[57] ادموند هوسرل: الفلسفة علمًا دقيقًا، تر، محمد رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص 23.

الأعضاء. "أي أن كل من ميادين المعرفة هذه ينتمي إلى علم أو لآخر. غير أن جميع ميادين المعرفة تخف بها منطقة محيطة من المجهول. وحين يصل المرء إلى مناطق الحدود ويتجاوزها، فإنه يغادر أرض العلم ويدخل ميدان التفكير التأملي... وهو يشكل واحد من مقومات الفلسفة"[58]. هكذا فقط نميز بين الفلسفة والعلم. ونعرف دائرة عمل كل منهما. والعلاقة المتكاملة في عمل كليهما.

4/ الهوة بين الفلسفة والعلم.

الهوة بين العلم والفلسفة بدأت تتعاظم في القرن التاسع عشر بدرجة مخيفة. إلى حد الفزع. إلى حد المناداة بموت الفلسفة. إن العلم حقق إنجازات مادية رهيبة وسريعة. لكن سرعان ما وقع الإنسان في مضار هذا التطور العلمي. سواء على مستوى الانسان أو على مستوى العالم المحيط به (البيئة). لذا سعى الإنسان إلى إعادة التصحيح وانتقاد نتائج العلم. وهذا بدوره يحتاج إلى فلسفة. فظهر ما يعرف عند فليب فرانك بالحلقة المفقودة. وهي فلسفة العلم. وهذه الهوة ناتجة عن مجموعة من المشاكل:

أ/ استبداد الرأي: إن كل من العلماء والفلاسفة استبد برأيه وما يملكه من معرفة. وضن أن كل المعارف الأخرى غير ما يمتلك باطلة. فالعالم ظن أن المعرفة هي ما تثبته التجربة ويصدقه العلم وحصر المعرفة في العلم فقط. وأي قول غير هذا باطل. حيث نجد الأمير لويس دي برولويه (منشئ النظرية الموجبة للمادة، أمواج دي برولويه) يقول: "نشأ في القرن التاسع عشر حاجز بين العلماء والفلاسفة.

[58] برتراند راسل: حكمة الغرب، تر، فؤاد زكريا، المجلس الوكني للثقافة والفنون والآدب، الكويت، ط2، 2009، ص 23.

فالعلماء ينظرون نظرة شك إلى تأملات الفلاسفة التي كثيرًا ما بدأت لهم وقد أعوزتها الدقة في الصياغة كما أنها تدور حول قضايا عديمة الجدوى ولا خل لها. أما الفلاسفة فلم يعودوا بدورهم مهتمين بالعلوم الخاصة لأن نتائجها كانت تبدو محدودة. ولقد كان هذا التباعد ضارًا بكل من الفلاسفة والعلماء"[59]. فهذا الاستبداد بالرأي سبب الصدع بين الفلسفة والعلم. لكن في الحقيقة الإنسان يحتاج ليعيش حياة سعيدة إلى كليهما. فالتكامل بينهما ضروري.

ب/ التطور الرهيب والسريع للعلم: لقد حقق العلم بداية من القرن 19 تطورًا ماديًا رهيبا جعل من العلم يحتل السبق في كل شيء. وحقق منجزات مادية في كل شيء ساعدت الإنسان في شتى مناحي الحياة. فجعل الإنسان يهتم بالعلم فقط على حساب كل المعارف الإنسانية الأخرى بما فيها الفلسفة. أي ظهر على حد تعبير هابرماس ما يعرف بالعلموية. أي إيمان العلم بنفسه وحصر المعرفة في العلم فقط .أي لم يعد العلم ممكن من الممكنات المعرفية فقط. بل أصبحت المعرفة مساوية للعلم. وبالتالي اتسعت الهوة بين العلم والفلسفة. وهذا ما سبب في نظر هابرماس أزمات لا حصر لها.

ج/ الاهتمام بالعلم على حساب المعارف الإنسانية الأخرى: الاهتمام اليوم من طرف الدولة أو المخابر العالمية والنظم السياسية بالعلم على حساب الفلسفة. وهذا الاهتمام وسع الهوة بين العلم والفلسفة. لأن العطاء المادي موجه للبحث العلمي بدرجة كبيرة والفارق بينهما كبير. مما جعل الهوة كبيرة. لكن هذا الأمر خاطئ. حيث نجد أعظم

[59] فليب فرانك: فلسفة العلم؛الصلة بين الفلسفة والعلم/ تر، علي علي ناصف، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط1، 1983، ص 07.

علماء الفيزياء المعاصرين انشتاين يقول: "أستطيع أن أجزم بأن أقدر من لقيت من الطلاب أثناء تدريسي لهم كانوا مهتمين اهتمامًا كبيرًا بنظرية المعرفة. ولا أعني بأقدر الطلاب هؤلاء المتفوقين في قدراتهم فقط. بل أيضًا في استقلالهم في الرأي . ويميل هؤلاء إلى إثارة المناقشات حول بديهيات العلم وطرقه. ويثبتون بعنادهم في الدفاع عن آرائهم أهمية هذا المنطق بالنسبة لهم"[60]. وعليه يجب الاهتمام بكل المعارف الإنسانية. فالعلم لا ينتج بعيدًا عن التأمل الفلسفي. فالتفوق في علم مرهون بمدى امتلاك قدرات التحليل الفلسفي. لذا فالعلاقة بينهما تكاملية.

[60] المرجع نفسه، ص ص 07، 08.

الأستاذ المسؤول عن المقياس : محمودي خليفة

مقياس : مدخل إلى الفلسفة .

المستوى السنة الأولى :LMD s 1

المحاضرة الحضارة والثقافة والفلسفة

أهداف المحاضرة:

1- معرفة الطالب لمفهوم الحاضرة والثقافة.

2- معرفة الطالب للعلاقة بين الحضارة والثقافة.

3- معرفة الطالب لدور الفلسفة فس بناء الحضارة.

تعد الثقافة من أهم المرتكزات الأساسية في البناء المجتمعات الإنسانية، والفلسفية على حد سواء، والمجتمعات التي تملك ثقافة متنوعة خلقت فلسفات قوية، وبنت حضارة دامت لقرون عديدة. لذا تعد الحضارة والثقافة من بين المفاهيم التي نالت اهتمام الفلاسفة والمفكرين في الفكر الفلسفي المعاصر، ويعود هذا الاهتمام إلى الواقع الذي آل إليه إنسان هذا العصر الذي بات يعيش العديد من الأزمات التي كادت أن تعصف بإنسانيته، فكانت الثقافة هي السبيل الأمثل الذي يبحث من خلاله الإنسان عن ماهيته وهويته بالدرجة الأولى، وبني حضارته من جديد، من أجل احياء الأمل من جديد، بعدما اقترب من تمام فقدانه، ولأن مصطلح الثقافة والحاضرة مصطلحان يصعب التفريق بينهما لتداخل بينهما. فقد كان لزاماً علينا البحث في

الخلفيات والمرجعيات التي أدت إلى ظهورهما، ومن هذا المنطلق جاز لنا أن نطرح التساؤل التالي: ما الفرق بين الحضارة والثقافة ؟ وما علاقتهما بالفلسفة؟

1/ مفهوم الحضارة:

لغة:

ففي لسان العرب لأبن منضور فإن الحضارة مأخوذة من الفعل حضر وهي عكس البداوة، والحضارة قائمة في مكان معين وليس مثل البدوي الذي ينتقل من مكان إلى آخر بحثا عن الكلأ والماء. فحضارة مأخوذة من التحض.

اصطلاحًا:

يعد مفهوم الحضارة من المفاهيم المعقدة والصعبة التعريف. لأن لك مفكر عرفها من زاويته، وتخصصه لذ صعب تحديد مفهوم موحد، فهي تعني كل ما يمز أمة عن أمة أخرى من حيث العادات والتقاليد وأسلوب العيش وهي بهذا تقترب من تعريف رايت للثقافة. فهي من حيث الاصطلاح تعني مجموعة المظاهر العلمية والأدبية والفنية والاجتماعية الموجودة في المجتمع. وتعد الحضارة الإنسانية مختلفة بعضها عن بعض. فلكل مجتمع إنساني حضارة خاصة به تختلف عن خيرها. فالحضارة المصرية تختلف عن الحاضرة اليونانية وهكذا.

2: مفهوم الثقافة

لم يكن ظهور اسم الثقافة اعتباطياً، بل هو راجع إلى خلفيات وظروف داخلية وخارجية مسّت المجتمعات الأوربية، ودفعت مفكريها وعقلائها إلى اصطلاح هذا

الوافد الجديد، ولأن هذه الظروف متعددة ومتنوعة فإن الأهم من بينها يعود أساساً إلى المشكلة المربكة والمرهقة التي تبلورت مع سيطرت العلمانية المادية على المجتمعات الأوربية، وتسببها في الابتعاد عن الأفكار المسيحية وفي الانتشار الكبير لأخلاقيات الملاحدة الجدد التي سموها الأخلاق الطبيعية، وهو الشيء الذي دفع ببعض المفكرين والكتاب إلى البحث عن وسائل تعويضية لهذا الجفاف الروحي، ليفرز هذا البحث عن هذا المفهوم الجديد الذي أُطلق عليه اسم ثقافة Culture[61] وعليه فإن الأصل في ميلاد فكرة الثقافة هو انقاذ الإنسان الأوربي من ويلات المدّ العلماني الذي عمل على نشر القيم المادية وفرضها على جميع مناحي الحياة، في مقابل القضاء كلياً على القيم الروحية والإنسانية التي اكتسبها من الدين، بعد الانتصار الكبير للعلمانية على الكنيسة آنذاك.

يواجه مصطلح الثقافة صعوبة بالغة في الوقوف له على تعريف جامع مانع، مثل غيره من المصطلحات التي تتميز بطبيعتها العمومية والحيوية، والتي يتشعب مجال دراستها ليشمل أغلب الدراسات الإنسانية والاجتماعية، حيث تعددت المدلولات الخاصة بها واختلفت من فيلسوف إلى آخر، وقد صرح الكاتب البريطاني تيري ايغلتنفي كتابه "**فكرة الثقافة**" بأن كلمة ثقافة تعتبر من بين الكلمات الأكثر تعقيداً في اللّغة الإنجليزية، والمقصود بها إيتومولوجياً، أي من حيث أصل ومعنى وتاريخ الكلمات، هي مفهوم مشتق من الطبيعة. ونذكر أن أحد معانيها الأصلية قديماً هو

[61] محمد الجوهري حمد الجوهري: الثقافات والحضارات اختلاف النشأة والمفهوم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص17، 18.

الزراعة أو العناية بالنماء الطبيعي[62] وإذا عدنا إلى الاشتقاق اللغوي الخاص بالثقافة فسنجد أن " كلمة Coulter (سكين المحراث) هي الكلمة القرينة لكلمة ثقافة Culture وتعني " شفرة المحراث " ونحن نشتق الكلمة للدلالة على أسمى وأرفع الأنشطة البشرية في مجالات العمل والزراعة والحراثة والحصاد"[63]، أي أن الثقافة في أصلها مشتقة من الزراعة، وبكل ما يرتبط بخدمة الارض.

وجاء في الموسوعات والقواميس المختصة بالثقافة أن أصل الكلمة الفرنسية Culture ينحدر من الكلمة اللاتينية Cultur. وهي الكلمة الرائجة في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، وقد اشتقت بدورها من الجذر اللاتيني Colere، الذي تفرعت عنه ثلاث دلالات، تحوّلت تباعاً إلى كلمات متميزة هي كلمة: Culte وتدل على العبادة والتقديس؛ وكلمة: Colunus وتفيد اعمار الأرض والاستيطان، ثم كلمة Cultura التي تعني حرث الأرض وزراعتها[64] وهذا يقودنا إلى القول بأن مفهوم الثقافة قد عرف تحولاً كبيراً في معناه، حيث حمل معنى العبادة ثم الاستيطان ثم الاهتمام بالأرض وزراعتها، وهذا المعنى الأخير كان الأكثر رواجاً منذ القرن الثاني عشر إلى غاية القرن السادس عشر، أين ظهر مفهوم آخر للثقافة ارتبط بالإنسان وكيفية تربيته من أجل انتاج إنسان متكامل نفساً وجسماً وعقلاً من خلال التربية والتهذيب والتكوين والتعليم، وبصفة عامة عن طريق مجموع المعارف والآداب الإنسانية المتوافرة في عصر ما، والتي تغرس وتنمي في الإنسان صفات وخصائل

---

[62] تيري ايجلتون: فكرة الثقافة، ترجمة: شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012، ص 13.

[63] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[64] عبد الرزاق الداوي: في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات_ حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط 1، 2013، ص 17.

محمودة[65]، وهذا التصور بقي سائداً إلى غاية القرن الثامن عشر بل أصبح معمولاً به لدى فلاسفة الأنوار، وتعود أصول هذا المفهوم إلى العهد الروماني حيث كان يُشار إلى المدلول في غياب الدال، أي أنه كان يقدم مضامين الثقافة كما نفهمها اليوم لكن دون تحديد ذلك بمصطلح ثابت، وذلك ما تجلى في تعريف الخطيب الروماني شيشرون (206-43 ق م) الذي يقول فيه <<إن أي حقل مهما كان خصباً، لا يمكنه أن يُنتج بدون الزراعة، والأمر نفسه بالنسبة للروح دون تعليم...إن العناية بالنفس cultura animi هي الفلسفة: عليها أن تقلع الرذائل وأن تجعل النفوس في وضعية الحصول على البذور، وأن تزرع ما من شأنه أن يُنتج المحاصيل الوافرة عندما يتطوّر>>[66] وبناءً على التعريف الذي قدمه شيشرون فإن القدامى حتى وإن لم يُدركوا شيئاً اسمه الثقافة إلا أنهم عايشوها بالمعنى، بعد أن تحولت أفكارهم من الاهتمام بالأرض إلى العناية بالإنسان، وتيقّنهم من أن زراعة العقول وخدمتها لا يقل أهمية على خدمة الأرض وزراعتها، وأن الإنسان بحاجة إلى تنمية ذاته أكثر من الاهتمام بالأرض، لكونه كائن اجتماعي فلا بد أن تكون علاقته مع غيره مبنية على قدر من الأخلاق والتربية اللّذان يكونان بمثابة القانون الذي ينظم علاقاته ويضبط تصرفاته.

بعد التحول الذي جعل مصطلح الثقافة يبدوا على أنه حالة عادية بعد ما كان مجهولاً من قبل، وبعد التداول الكبير الذي صار يعرفه بشكل متنوع وغير منقطع من طرف الكُتّاب والفلاسفة والمفكرين، أصبح أكبر شيء يؤرق الباحث في الثقافة

---

[65] المرجع نفسه، ص17، 18.

[66] شوقي الزين: الثقافة والحضارة..ثنائية ملتبسة، مجلة الإمارات الثقافية، مركز سلطان بن زايد، الإمارات، العدد79، 2019، ص62.

هو ادراك مضمونها بشكل ثابت ودقيق نظراً لتنوع المجالات والحقول المعرفية التي باتت تتعرض لموضوع الثقافة بشكل مستمر، وعلى هذا الأساس سنحاول التعرف على المفهوم الاصطلاحي للثقافة في أكثر من حقل معرفي وقطب فلسفي من أجل التقرب أكثر من المفهوم الصحيح والشامل للثقافة والإلمام بجميع جوانبها.

أ- المفهوم الأنثروبولوجي للثقافة

تعد الأنثروبولوجيا* مهد الدراسات الثقافية، ذلك أن الاهتمام الأولي بالثقافة كان في ميدان الدراسات الأنثروبولوجية، إذ وبالرغم من أن للثقافة مستويان مستوى أنثروبولوجي، حيث تكون الثقافة تراثاً من عادات وقيم تطبع الوجدان وينبني عليها السلوك، عن وعي أو عن غير وعي، ومستوى آخر تكون فيه الثقافة شأن نخبة تداول فيما بينها ثقافة عالمية [67]، فإن المستوى الأنثروبولوجي قد كان الأكثر اهتماماً بالثقافة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ذلك لأن الباحثين المهتمين بتتبع مسار تطوره الدّلالي يجمعون على أن ميدان علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالذات، هو الحقل المعرفي الأول والأساس الذي نشأ فيه معناه الحديث المتداول حالياً[68] الذي يدور حول دراسة الثقافات البشرية من حيث اختلافها وتشابهها وعلاقتها ببعضها البعض.

* الأنثروبولوجيا: هي كلمة مشتقة من اليونانية: أنثروبوس تعني إنسان، لوجيا وتعني علم، أي علم الإنسان، وهو علم حديث نسبياً انبثق من رحم الفلسفة المتزاوجة مع البيولوجيا، حيث تهتم بدراسة نشأة الإنسان وتطوره وتميزه عن المجموعات الحيوانية وتقسم الجماعات الإنسانية إلى سلالات وفق أسس بيولوجية، كما تدرس ثقافة الإنسان ونشاطه، وتركز على دراسة المجتمعات البدائية والإنسان البدائي من حيث هو جزء من الطبيعة وتبين صلته بها (كليفورد غيرتز: تأويل الثقافات، ترجمة: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص20).

[67] علي أومليل: سؤال الثقافة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص09.

[68] عبد الرزاق الداوي: في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات_ حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المرجع السابق، ص 21.

لم تكن حداثة تخصص الأنثروبولوجيا وجدّته لتمنع من تواجد منشغلين بهذا الميدان، بل إن الواقع يُظهر لنا الكثيرين من العلماء والباحثين في مجال الأنثروبولوجيا، والذين خصصوا جزءً كبيراً من دراساتهم الأنثروبولوجية لتحديد مفهوم الثقافة، حيث اعتبر الكاتب ريموند وليامز هذه الأخيرة طريقة معينة في الحياة، سواء عند شعب، أو فترة، أو جماعة[69]، أي أن الثقافة هي كل ما يميز جماعة أو شعب عن غيره من الشعوب والجماعات الأخرى، أما إدوارد بورنيت تايلور فقد قدم تعريفاً للثقافة يعتبره البعض الأشهر بين التعريفات الأخرى في حقل الأنثروبولوجيا، بدليل أنه مازال مقبولاً ومتداولاً بين علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين إلى يومنا هذا، حيث عرّفها على أنها تلك الوحدة الكلية المعقّدة التي تشمل المعرفة والإيمان والفن والأخلاق والقانون والعادات، بالإضافة إلى أي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع[70] أي أن الثقافة وفق المفهوم التايلوري هي عبارة عن كل ما يكتسبه الفرد من الجماعة التي ينتمي إليها، وهذا المفهوم لا يختلف عن المفهوم الذي وضعه وليامز، فكلاهما نظر إلى الثقافة على أنها كل ما يميز جماعة عن أخرى لتصبح بذلك الثقافة تدل على كل ما له علاقة بالإنسان سواء كان داخلياً أو خارجياً، مباشراً أو غير مباشر.

وإلى جانب هاذين المفهومين هناك مفاهيم أخرى أسهمت في اثراء مفهوم الثقافة واغنائه بمدلولات جديدة، منها مفهوم كلود ليفي شتراوس الذي فاضل فيه بين الطبيعة

---

[69] طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس: مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 232.

[70] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والثقافة وأعطى قيمة كبرى لهذه الأخيرة على حساب الطبيعة، وهذا ما يظهر في قوله << فالطبيعة هي كل ما نجده فينا وراثة والثقافة في المقابل هي كل ما ينحدر عن التقليد الخارجي...، وهي في كلمة: جملة العادات والمهارات التي يكتسبها الإنسان بوصفه فرداً في مجموعة >>[71] بمعنى أن الثقافة حسب ليفي شتراوس هي كل حركة أو فعل نقوم به من أجل اكتساب تقنيات جديدة نخالف بها أساليبنا التقليدية والموروثة عن طريق الاجتماع، وهنا تتجلى قيمة الدراسات الأنثروبولوجية التي تجاوزت الأوهام الكلاسيكية من أجل أن تقرب الإنسان من الواقع أكثر وتمنحه مكانة مهمة في الوسط الاجتماعي.

بعد عرضنا لهذه المفاهيم يكون قد اتضح لنا أكثر بأن السعي لتحديد مفهوم أنثروبولوجي ثابت للثقافة يتجه نحو حصره في شتى الأمور التي تخص الإنسان لوحده وتميزه عن باقي الكائنات الأخرى من مهارات وممارسات مختلفة تشمل طريقة التفكير ونمط العيش وأسلوب الحياة.

3- علاقة الفلسفة بالثقافة:

لقد كان للثقافة نصيباً وافراً من اهتمام الفلاسفة منذ القدم، حيث جاءت أغلب كتاباتهم متضمّنة للعنصر الثقافي حتى وإن لم يتم التلفظ بها في بعض الفترات، وبدت مواقفهم منها موافقة لتوجهاتهم الفكرية والفلسفية، وإذا ما حاولنا اعطائها معنى فلسفي مشترك وعام فسنقول بأنها كل ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات ويجعله إنساناً ، وما يلاحظ على هذا المعنى الجديد للثقافة أنه إعادة لإنتاج الفلسفة

[71] محمد بهاوي: الطبيعة والثقافة نصوص فلسفية مختارة ومترجمة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2013، ص15، 16.

السفسطائية[72] باعتبارها فلسفة إنسانية وجّهت كل اهتمامها للإنسان وجعلته مقياساً لكل شيء حسب قول بروتاغوراس الذي يعد زعيم الفكر السفسطائي بدون منازع، ويُعتبر الفلاسفة السفسطائيين هم أول من فرق بين وضع الإنسان في حالة الطبيعة ووضعه في الأحوال التي يصطنعها لنفسه بالثقافة، وهو ما يتم التعبير عنه فلسفياً بأن الثقافة هي أنسنة الطبيعة، أي تلك القيم والأفعال التي يُدخلها الإنسان على الطبيعة وهي في حالتها الخام، وقد توصل هذا المفهوم بعد تطوره إلى القول بتحكّم العقل الإنساني في المسار التلقائي للطبيعة من خلال الحكمة والمعرفة[73] ويتضح من خلال هذا المفهوم الفلسفي بأن الثقافة لم تعتد تشمل تلك السلوكات والأساليب اللّاعقلانية، بل إنه يعزلها ويجعل الوعي شرطاً أساسياً لإدراكها، وقد عاد مفهوم الثقافة للظهور من جديد في عصر النهضة، لكن بدلالة عقلية أكثر علمية أين عمد فلاسفة القرن السابع عشر إلى تطبيق المناهج العلمية في دراسة المسائل الإنسانية لأول مرة، مفردين لها مضماراً خاصاً أسموه بالقطاع الثقافي[74] وبالتالي فالمفهوم الفلسفي للثقافة وإن كان مرتبطاً بالعقل في كل فتراته فإنه لم يكن مخالفاً لروح العصر الذي ولد فيه، وهو ما تجلى بوضوح مع الفلسفة اليونانية التي مثلتها المدرسة السفسطائية، وفلسفة الأنوار التي تخطت عصور الظلام.

لقد شهدت الفلسفة المعاصرة هي الأخرى اقبالاً واسعاً على الدراسات الثقافية، وجاءت فيها حاملة لمدلولات ومعاني أكثر إنسانية، حيث امتزجت الثقافة لدى أغلب

---

[72] فؤاد السعيدي وفوزي خليل: الثقافة والحضارة، مقاربة بين الفكرين الغربي والإسلامي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 2008، ص52، 53.

[73] المرجع نفسه، ص53.

[74] المرجع نفسه، ص54.

الفلاسفة المعاصرين بالأخلاق والفن والتربية وغيرها من القيم التي تهدف إلى ضبط السلوك الإنساني وتنظيم حياته، وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه* الذي عرّف الثقافة باعتبارها مجموعة من التأويلات التي تضطلع بها القيم الخاصة بمجتمع معين، وبهذا المعنى فهي تتعدى المعرفة الكمية وتتجاوز التربية الفردية نحو مجال يضم الأفعال البشرية ومنتوجاتها من علم وفن ودين وفلسفة وأخلاق، فهي تنخرط في تصوّر معين حول العالم يحمله مجتمع معين، أي تأويله لشرطه الوجودي وتجسيد هذا التأويل في بنيات اجتماعية وهياكل سياسية تعبّر عن تاريخه وقيمته[75] فالثقافة الحقيقية وفق تعريف نيتشه هي بمثابة المخزون المعنوي والروحي لكل مجتمع يسعى إلى تهذيب طباع أفراده وإسعادهم، ويعمل على نبذ التصورات الكمّية المتحذلقة المنبثقة عن الماديّة والتقنيّة. فهي من تحيي في الإنسان روح المبادرة وتنشط قواه العقلية، وتقضي فيه على الكسل والخمول، ذلك أن الهدف الأسمى الذي تبتغيه الثقافة حقاً هو تحرير الذات الإنسانية من الأوهام الزائفة والمصطنعة، والارتقاء بها إلى أعلى مراتب الوجود، ولعل ذلك ما قصده نيتشه بالقول <<الثقافة تحرُّر، تنتزع الزوان، ترفع الردم، تستبعد الدود الذي يهاجم البذرة الناعمة للنبتة، تبثُّ أشعة النور والحرارة، إنها مثل السقوط النافع للمطر الليلي. تقلّد الطبيعة وتهواها، لأنها الأم الحنون والوديعة. تُنجز أثر الطبيعة عندما تتصدّى للضربات العنيفة والقاسية وتحوّلها إلى خيرات نافعة، عندما تحجب نزوات الأم

* فريدريش نيتشه (1844-1900): فيلسوف مثالي ألماني ورائد للايديولوجية الفاشية، دافع عن النزعة الفردية الجامحة في القانون والأخلاق، وتعرف فلسفته بالفلسفة الارادية، حيث عارض إرادة الفعل وعوّضها بإرادة القوة، أي القوة الدافعة الكلية للتطور، وقد وضع نيتشه أسطورة العود الأبدي لجميع الأشياء مقابل النظرية العلمية للتقدم، وأعماله الرئيسية هي: هكذا تكلم زردشت 1886، إرادة القوة 1906 (روزنتال وآخرون: الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص553، 554).

[75] محمد شوقي الزين: الثَّقاف في الأزمنة العجاف، فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2015، ص134.

الشرسة وحمقها المحزن>>[76] وما يُفهم من هذه الأوصاف الجميلة والتعابير الساحرة هو أن قيمة الثقافة في الأصل لا تُكتسب من التزويد الهائل بالمعارف والأفكار ومن المباهاة والزخرفة، بقدر ما تُكتسب من قدرة الذات على تغيير واقعها عن طريق استغلال كامل قدراتها وطاقاتها الذاتية وتحويل ما هو سلبي أمامها إلى ما هو ايجابي.

كما شاعت تعريفات أخرى للثقافة إلى جانب تعريف نيتشه، من بينها تعريف جيل دولوز الذي ساد في النصف الثاني من القرن العشرين، والذي جمع فيه الثقافة بالفلسفة، معتبراً الثقافة إلى جانب الفلسفة سمة من سمات التفكير في ابتكار الصنائع وإبداع الروائع، ويساهم انفتاح الفلسفة عن الثقافة الممثلة في الفن والشعر، في بناء صورة جديدة للفكر تكون أكثر مرونة وغنى وأقل صلابة وجفاف، وعليه فإن ربط دولوز للفلسفة كإبداعٍ للمفاهيم بالثقافة كابتكار في الروائع على أرضية واحدة جامعة بينهما وفي زمن واحد، سيسهل من عملية انتقال الأقاليم وارتحال المفاهيم بدلاً من التاريخ والموقع اللذين يفصلان بينهما ويحدّدان هيكلهما[77]، ومن هنا يتضح بأن دور الثقافة وغايتها الأساسية إلى جانب الفلسفة يتمثل في تذليل عوائق المسافات والتاريخ وتقريب الأفكار والآراء من أجل انجاح عملية التواصل بين الذوات وتحقيق التفاهم.

[76] نقلاً عن محمد شوقي الزين: نقد العقل الثقافي، فلسفة التكوين وفكرة الثقافة أساسيات نظرية البيلدونغ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 2018، ص426.

[77] محمد شوقي الزين: الثَّقاف في الأزمنة العجاف، فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب، المرجع السابق، ص242.

الخاتمة:

يمكن أن نقول في الأخير. أن الفلسفة هي دراسة نقدية للمنتوج الثقافي الإنساني. أي كان هذا المنتوج. وعليه فالفلسفة هي مكابدة للمشكلات الواقعية التي يصادفها الإنسان. فهي تجربة حية تعاش لا تحفظ. فالفلسفة لا تتوقف على ترديد أقوال الفلاسفة وأفكارهم. بل معرفة كيف فكر هؤلاء. بأن أعطوا لنا هذا الحكم على الأشياء. لذا وجب أن نتعلم التفلسف لا الفلسفة بمعناها الصوري. ولعل كانط سبقنا لمثل هذا الطرح عندما قال يجب أن نعلم الأطفال التفلسف بدل الفلسفة. وهذا يوحي أن الفلسفة ممارسة للتفكير في القضايا وتجربتها.

ولعل جيل دولوز على حق عندما يرى أن مهمة الفلسفة الأولى كما بينها في كتابه ما هي الفلسفة؟. هي فن تكوين وإبداع وصنع المفاهيم. يقول: "إن الفلسفة بتدقيق أكبر. هي الحقل المعرفي القائم على إبداع المفاهيم"[78]. فالتاريخ البشري بأكمله يحدث له الخطأ في عدم تحديد المفهوم. إذ تحديد المفهوم نصف فهم الظاهرة. والفلسفة لا تتوقف عند تحديد الفهوم. وإنما إبداع المفهوم، وخلقه.

وبهذا تجاوز جيل دولوز المهمة الأساسية للفلسفة. بأن لم تصبح دراسة العلل الأولى. رغم أن صناعة المفهوم تقاربها. لكن صناعة المفهوم هي أقرب للجانب العملي منه، من الجانب لدراسة العلل الأولى. لأن صناعة المفهوم ليس جانب طوباوي كالبحث في العلل الأولى للحقيقة. لأن المفاهيم هي أدوات للوصول للحقيقة. فهذا التعريف لدلوز نقلنا من الطوباوي إلى العملي. وبهذا تصبح للفلسفة المكانة الرئيسية

[78] جيل دولوز؛ فليكس غاتاري: ما هي الفلسفة، تر، مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، لبنان، ط1، 1997.

في مجال المعرفة الإنسانية، وتوجيه العقل البشري والعلوم إلى إنتاج المعارف وضبطها.

فهرس المراجع

1) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982
2) محمد بهاوي:الفلسفة والتفكير الفلسفي،أفريقيا الشرق،ط2، 2013.
3) افلاطون المأدبة، تر، وليام الميري، دت.
4) الكندي رسالة إلى المعتصم بالله،: الفلسفة الأولى، تحقيق، أحمد فؤاد الأهواني، بيروت، 1986.
5) رونيه ديكارت: مبادئ الفلسفة، تر، عثمان أمين، 1975.
6) أبو نصر الفارابي:الجمع بين رأي الحكيمين:ط5، 2001.
7) عزمي طه السيد احمد : الوجه الأخر للفلسفة - عالم الكتب الحديث - الأردن 2015
8) البخاريحمانه : تأملات في الدنيا و الدين –دارالقدس العربي 2012
9) مصطفى النشار : التفكير الفلسفي – دار المصرية اللبنانية 2015
10) زكريا إبراهيم مشكلة الفلسفة : مكتبة مصر – د ط
11) عبد الحفار مكاوي : مدرسة الحكمة – دار الكتاب العربي – القاهرة – د ط
12) هنترميد : الفلسفة انواعها و مشكلاتها – مكتبة مصر- القاهرة 1969
13) رواد الميثالية في الفلسفة الغربية دار التقافة للطباعة و النشر
14) لاقاهرة1975
15) احمد محمود صبحي ، محمود فهمي زيدان في فلسفة الطب دار لامعرفة الجامعية 1995
16) محمد شطوطي المدخل إلى الفلسفة العامة دار طليطلة الجزائر 2009
17) مصطفى محمود اينشتاينو النسبية
18) محمد تابت الفندي مع الفيلسوف دار المعرفة الجامعية مصر 1998
19) زكريا إبراهيم دراسات في الفلسفة المعاصرة : مكتبة مصر 1968
20) محمد شوقي الزين: نقد العقل الثقافي، فلسفة التكوين وفكرة الثقافة أساسيات نظرية البيلدونغ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 2018،

21) فؤاد السعيدي وفوزي خليل: الثقافة والحضارة، مقاربة بين الفكرين الغربي والإسلامي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 2008،
22) محمد بهاوي: الطبيعة والثقافة نصوص فلسفية مختارة ومترجمة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2013
23) محمد الجوهري حمد الجوهري: الثقافات والحضارات اختلاف النشأة والمفهوم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 2008
24) سالم يفوت فلسفة العام المعصرة و مفهومها للواقع دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت 1986